666 فلاش فيكشن

666 فلاش فيكشن

18 كاتبا وكاتبة - 90 قصة رعب قصيرة

تصميم الغلاف:

رقم الإيداع: 2018/26877

I.S.B.N:978- 977-6640-49-8

الطبعة الأولى 2019م

الإدارة: 17 ش عزت باشا المطربة، القاهرة.

المدير العام: آية سعد الدين

مدير النشر: د. رامي عبد الباقي

هاتف: 01099387500 - 01147633268

E – mail:zeinpublish2017@gmail.com
Facebook: Zein Publish

جميع الحقوق محفوظة©

18 كاتب وكاتبة

666 فلاش فيكشن

- 90 قصة رعب قصيرة

إهداء..

إلى د. أحمد خالد توفيق "رحمة الله عليه"

لأكثر من ربع قرن كنت لنا رفيقاً، ومعلما، ومرشدا، وصديقا، ومثلاً أعلى

رحلت عن العالم بجسدك لكن ستبقى كلماتك راسخة في قلوبنا وعقولنا

وائل عبد المجيد..

(1) صوت خفي

قرأت في إحدى المواقع المتخصصة في الغرائب وما وراء الطبيعة، أن الإنسان لا يجب أن يهتف على شخص آخر ليلا.. لأنه إذا لم يجب الشخص، فسوف يجيبك الجن.

لم أصدق هذه المعلومة، وقررت تجربتها حتى أكشف كذب هذا الموقع، لذلك انتظرت حتى بعد منتصف الليل ودلفت إلى غرفتي، وهتفت بصوت جهوري مناديا صديقي المقيم معي:

. (وائل).

بعد لحظات فتح باب الغرفة، ودلف إليها وهو يقول بلهجة حادة:

. ماذا بك؟!.. لقد أفزعتني.. لقد استيقظت على صوت صراخك.. هل أصابك مكروه؟!..

ضحكت وأنا أجيب:

. لا تقلق يا صديقي، لم يحدث شيء، لقد أردت الاطمئنان عليك فقط.

نظر لي نظرة طويلة غاضبة.. كان الشرر يتطاير من عينيه.. قبل أن يشيح بوجهه وهو يهتف:

. إياك أن ترفع صوتك مرة أخرى.. لا تقدم على هذه الأفعال الصبيانية مرة أخرى..

تركني وأغلق باب الغرفة وانصرف، ضحكت بصوت عال جدا، لقد كشفت زيف ادعاءات ذلك الموقع و....

سمعت صوت طرقات على باب الشقة، قمت مسرعا لأستطلع الأمر، فتحت الباب لأجد (وائل) أمامي!!.

انحشرت الكلمات في فمي ولم أستطع التفوه ببنت شفة..

إلا أنني جمعت شتات نفسي وبادرته بقولي:

. أين كنت؟!.. ألم تكن نائما منذ لحظات؟!..

ابتسم ابتسامة ساخرة، وهو يجيب:

. نائم!! مؤكد أنك كنت تحلم.

ثم تركني ودخل غرفته الخاصة وأغلق الباب.

لم أستطع التوقف عن التفكير فيما حدث، قررت مواجهة صديقي، لذلك صرخت بأعلى صوت مناديا إياه..

بعد لحظات وجدته أمامي، والشرر يتطاير من عينيه.. ثم قال بصوت عميق للغاية:

. ألم أحذرك من عدم تكرار هذا مرة أخرى..

ثم اقترب منى وفتح فمي عنوة.. وهو يقول بلهجة حادة للغاية:

. حسنا مادمت ترفض الامتثال لتعليماتي، فلابد من إجبارك عليها..

ثم لمس لساني بإصبعه.. وهو يكمل قائلا:

. اهتف كما تشاء، لن يسمع أحد صوتك مرة أخرى..

ضحك ضحكة عالية للغاية.. ثم انصرف.

حاولت عبثا أن أهتف على صديقي، لم يخرج صوت من فمي..

اليوم بعد مرور أكثر من ثلاث سنوات، طفت معظم المستشفيات، وذهبت إلى شيوخ عديدة، كللت جهود أحد الشيوخ وعاد صوتي حمدا لله، منذ اليوم أخذت عهدا، ألا أرفع صوتي مرة أخرى ليلا..

(2) الصرخة 5

اتصل (حليم) بصديقه (وفيق)، وبعد تبادل عبارات الترحيب بينهما، سأله:

. هل تود الحضور ومشاهدة فيلم رعب وغموض مميز؟!

أجابه في حماس:

. بالطبع لقد كنت أهم بالخروج للتمشية قليلا، بعد أن مللت من المذاكرة، لكن ما هو الفيلم المميز؟!.. لقد شاهدنا كل الأفلام تقريبا..

هتف قائلا:

. لقد حضر صديق لي من الولايات المتحدة الأمريكية، وأحضر فيلما مفاجأة، احضر سريعا لأننا على وشك عرض الفيلم.

هتف في سرعة:

. لا انتظر نصف ساعة وسأكون بجانبك.

تمتم (حليم):

. حسنا سوف ننتظر نصف ساعة فقط، إياك أن تتأخر.

ثم أغلق الهاتف، هب (وفيق) ليلتقط ملابسه، وفى ثوان معدودة كان هبط من المنزل، واستقل سيارة أجرة ليلحق بموعده، وقبل أن تمضي نصف ساعة، كان يقف أمام باب الشقة، يطرق الباب في قوة، وما أن فتح له الباب، حتى بادره بقوله:

. ألم أخبرك بوصولي قبل الموعد المحدد.

دعاه (حليم) للدخول، وهو يقول هامسا:

. حسنا فعلت فالفيلم على وشك أن يبدأ.

اندفع الاثنان نحو غرفة المعيشة، ليجد شابا يجلس على الأريكة، فأشار (حليم) إليه وهو يقول:

. هذا صديقي (ماجد) حضر للتو من الولايات المتحدة الأمريكية، كما أخبرتك مسبقا.

صافحه (وفيق) في حماس، ثم جلس ثلاثتهم، ثم التفت إليه (حليم) وهو يقول في مرح:

. سوف نشاهد فيلما مميزا، لم يشاهده أحد من قبل.

هتف في حيرة متسائلا:

. فيلم لم يشاهده أحد من قبل!!!.. ما هو هذا الفيلم؟!

هتف بنبرة تحوى الكثير من الغموض:

. هل شاهدت فيلم (الصرخة) الجزء الخامس؟!

أجابه مرددا:

. الجزء الخامس!! لكنه لم يصدر بعد..

التفت إليه (حليم)، وابتسم قائلا:

. بالفعل (الصرخة) الجزء الخامس، لم يصدر بعد، لكنه على وشك الصدور، هل تعلم لماذا؟!

هتف (وفيق) قائلا:

. لابد أن الشركة لم تنته من تصويره.

ضحك الاثنان، ثم انقضا عليه.. طرحه أحدهما أرضا.. والآخر كتم أنفاسه.. ثم هتف في لهجة جنونية:

. بالفعل الشركة لم تنته من تصويره.. لأننا نصوره حاليا، ويتم بث مباشر للفيلم.. مبارك عليك الشهرة التي طالما حلمت بها.. سيشاهدك الملايين حول العالم.. لكن للأسف الشديد لن تكون موجودا.

ثم أمسك خنجرا حادا.. كان يخفيه تحت الأريكة، ثم سدد طعنات الغدر والخيانة لصديقه.. وبعد أن همدت حركته، جلس الاثنان بجواره، ثم أسرع (ماجد) بإحضار ملابس فيلم (الصرخة)، وقاما بارتدائها، ثم قال له (حليم):

. أسرع بتشغيل الكاميرا، حتى نبث الفيلم على الإنترنت، كما وعدت صديقى..

***

(3) لقمة القاضي

على الرغم من تناولي الحلوى المسماة (لقمة القاضي) مرارا وتكرارا، إلا أنني لم استسغ طعمها.. في هذا اليوم أخبرني صديقي العزيز (طارق)، والذي يعمل في متجر حلويات كبير، أن ما سأتناوله سيكون أطعم وأشهى (لقمة القاضي) تناولتها في حياتي.. بالفعل أحضر لفافة كبيرة منها، وبدأنا في تناولها، كانت رائعة بحق، لم أتناول أشهى منها، ولذلك أقبلت على تناولها في نهم شديد.. حتى امتلأت معدتي، سألت (طارق) في لهفة:

. ما هذه الرائحة الذكية؟! ما سر جمالها وطعمها الرائع؟!

ابتسم ابتسامة خفيفة، قبل أن يجيب:

. سر المهنة يا صديقي.. أنت تعلم لا يجب أن أفصح عنه أبدا..

سألته كثيرا إلا أنه كان يرفض الإجابة.. بعد يومين أحضر أمامي طبقا ممتلئا عن آخره من (لقمة القاضي)، ما أن شاهدتها حتى سال لعابي.. فأنا أعشقها، أمسكت الطبق وأنا أقذفها في فمي..

لكنها لم تكن بنفس طعم الطبق الأول.. بعد أن انتهيت من تناوله، سألته في حيرة:

. لماذا هذا الطبق ليس بنفس جودة الطبق الآخر؟!

أجابني وهو يبتسم قائلا:

. لأن الطبق الأول، كان القاضي صغير السن.. أما هذا الطبق لقاضي قارب على المعاش.. وبالتالي ليست في نفس الجودة.. أعدك يا صديقي بإحضار قضاة صغار السن..

***

(4) الأمعاء

أعمل طبيبا في مستشفى صغير نسبيا، منذ فترة بسيطة تمكنت من ابتكار تقنية جديدة لمرضى المعدة والأمعاء، حيث يتم استخراج الأمعاء وتنظيفها يدويا، ثم إعادتها مرة أخرى، حيث أقوم بتركيب جهاز يقوم بوظيفة الأمعاء، ومنذ أعلنت عن هذا الابتكار حتى توافد العشرات من المرضى، وها هي أول عملية، كان حضر منذ فترة مريض، يعانى مشاكل في المعدة والأمعاء، كان يطلب تنظيف أمعائه وبعد تجربة العديد من الأدوية والعقاقير الطبية، والوصفات الطبيعية، فما زال يعانى عسر الهضم، ومشاكل أخرى في المعدة والأمعاء، لذلك لم أجد حلا آخر لمشكلته سوى، إخراج الأمعاء وتنظيفها يدويا.. مع تركيب جهاز بسيط يقوم بعمل المعدة والأمعاء، حتى يتم الانتهاء من تنظيفهما.

بالفعل وجدت بها الكثير من فضلات الطعام العالقة بها.. قمت بتنظيفها لكن ما زالت بعض الفضلات عالقة تأبى الخروج في سلام.. لذلك يجب أن أضعها في محلول ملحي وبعض المحاليل الحمضية، لتستعيد بريقها ورونقها، أخرجتها بالفعل وهتفت مناديا الممرضة (بسمة)، وحينما دخلت الغرفة، أعطيتها الأمعاء مع التأكيد بضرورة تنظيفها جيدا، كان المريض تحت تأثير المخدر وكان أمامه بضع ساعات حتى يفيق، لذلك ذهبت إلى غرفتي لأنعم بساعة واحدة من النوم، حتى يستعيد جسدي حيويته ونشاطه، سمعت صوت طرقات قمت مسرعا لأستطلع الأمر، كانت (بسمة) بادرتها بسؤال:

. هل المريض أصابه مكروه؟!. .

ابتسمت وهى تقول:

. لماذا الانزعاج هكذا؟! لم يصبه ضرر، لقد أردت أن تشاركنا طعام الغداء، بعد أن قمت بتنظيفه وطهيه كما أردت.

لم أنتبه إلى يدها الممدودة وهى تناولني طبق يحوى الأمعاء المحشية (ممبار).

هتفت في حيرة:

. أنا لم أحضره.. لابد أنه أحد الزملاء..

ابتسمت وهى تقول:

. أعلم حجم المسئولية الملقاة على عاتقك، مؤكد أنك نسيت، لقد أعطيتني إياه منذ ساعة وطلبت تنظيفه.. ها هو أصبح جاهزا بعد أن طهوته وقمت بتحميره..

كانت هناك غصة مريرة في عنقي.. لم أستطع التفوه ببنت شفة..

***

(5) قلب ضعيف

انتظرت هبوط الليل بفارغ الصبر، فأنا لم أتناول الطعام منذ أمس الأول.. لذلك ارتديت أفخر الثياب، ووضعت ذلك العطر المميز، فأنا أعلم أن هذا العطر يجذب انتباه الجميع، وخاصة النساء.

هبطت بالفعل وانطلقت بسيارتي وبينما أقود السيارة، لفت نظري امرأة رقيقة، ملامحها هادئة للغاية، تستند على سيارة متوقفة، توقفت بجوارها وأنا أدعوها لتوصيلها.. أشاحت بوجهها وهى تنظر في الاتجاه المعاكس.. لم أستطع التوقف عن النظر إليها، لم يكن هناك أحد بجوارها لذلك هبطت من السيارة، واقتربت منها وأحطت رقبتها بيدي.. وكتمت فمها باليد الأخرى.. بعد أن وضعت منديلا يحوى مادة مخدرة.. لحظات وفقدت الوعي.. حملتها ووضعتها في السيارة وانطلقت، أخيرا سأتناول الطعام..

ذهبت إلى ذلك الكهف المهجور، وانتظرتها حتى تستيقظ، حدث شيء لم يكن في الحسبان.

لقد هممت أن أفترسها كعادتي..

رق قلبي لبكائها.. وتوسلاتها.. وهى ترجوني أن أتركها تذهب لطفلها الرضيع..

وبعد تفكير عميق استجبت لها بالفعل..

ولكن أخشى أن تتعرف علي فيما بعد لذلك أخذت حذري..

وقمت ببعض الإجراءات الاحترازية..

أولا..

فقعت عينيها حتى لا تدلى بأوصافي..

ثانيا..

قطعت يديها، حتى لا تكتب مكان الكهف.. أو ترسم وجهي..

ثالثا..

قطعت لسانها حتى لا تدلي بأوصافي..

وأخيرا..

صببت حامضا مركزا داخل أذنيها..

ثم قمت بتوصيلها إلى أقرب مستشفى..

بسيارتي الخاصة، مجانا..

لقد قطعت وعدا ألا يضعف قلبي مجددا..

تبا لقلبي الضعيف..

***

(6) جوز هند

كم أعشق (علي) زوج صديقتي (هند)، منذ أن رأيته، ولكم حاولت أن أستميله ناحيتي.. لكنى فشلت فشلا ذريعا، لم يلتفت إلي، لقد حاولت مرارا وتكرارا معه.. حتى يئست وأصبت بالإحباط الشديد.. لقد انتظرته بعد انتهاء عمله، وقابلته كأنها صدفة، لم أستطع التوقف عن التفكير فيه، بمجرد أن مد يده حتى أمسكتها وشددت عليها.. لم أستطع تركها، ثم وجدت نفسي بحركة لا إرادية أقبل يده.. أفقت على صوت صفعة قوية تهوى على وجهي.. ثم هتف في غضب:

. مؤكد أنك مختلة عقليا.. أنا زوج صديقتك.. كيف تقدمين على هذا التصرف الأرعن الأهوج؟! لن أخبر (هند) بهذا الموضوع، لكن لا أريد أن أشاهدك مرة أخرى..

عندما علمت صديقتي (داليا) بذلك همست في أذني:

. أنا أمتلك حلا جذريا لمشكلتك.

هتفت متسائلة في فرح:

. ما هو هذا الحل؟!

ابتسمت ثم همست:

. سوف أنتظرك غدا في السابعة مساء بمنزلي لأخبرك.

انتظرت على أحر من الجمر الملتهب.. حتى دقت الساعة السابعة، ذهبت إليها لأجدها تمسك بطبق أرز باللبن، وتناولني إياه وهى تقول:

. تفضلي يا صديقتي الغالية، لقد أحضرت لكي (جوز هند) بعد أن طحنته

وقمت بتجفيفه وضعته لكي على طبقك المفضل..

(7) الثرثارة

تبا للنساء الثرثارة..

زوجتي من هذه النوعية، ولطالما نصحتها، تكف قليلا، لكنها لم تستمع إلى نصيحتي.. بعد أن ضقت ذرعا بها.. اتخذت قرارا مصيريا، أمسكت مدفعا رشاشا، وأطلقت عليها وابلا من الطلقات، وبعد أن أفرغت في جسدها، ما يقرب من مائة رصاصة، صمتت.

بينما أجلس أحتسي كوبا من الشاي، بعيدا عن جثتها، سمعت صوتا يأتي من خلفي.. لألتفت لأجدها.. تزحف على الأرض.. ومازالت تثرثر وتهدد وتتوعد بالرد العنيف..

لم يكن هناك بد من قطع لسانها الطويل.. بعد مرور ساعة، وجدتها تثرثر كعادتها..

ماذا أفعل لأتخلص من ثرثرتها؟!

لقد يئست من موتها.. ومن ثرثرتها، لذلك اتخذت قرارا مصيريا آخر.. أطلقت الرصاص على رأسي.. حتى أستريح من ثرثرتها.. وبعد تشييع جثماني، وانصراف المشيعين، مازلت أسمع صوتها وهى تثرثر وتولول كعادتها..

بالله عليكم، ماذا أفعل لأتخلص منها؟!

***

(8) تماثل

لا أعرف بالضبط متى أصبحت هكذا، ولا يهمني ما دمت وجدت فيه نفسي، ما رآه الآخرون مثيرا للسخرية رأيت فيه بحثا محموما عن الكمال. أتحدث طبعا عن هوسي بالتماثل والتناظر وأي شيء يمت للتوازن بصلة. أقضي دهرا في ترتيب السرير وتسوية أطراف اللحاف حتى تبدو متطابقة، أعذب الحلاق حتى يرضي نرجسيتي ولا يترك خصلة مجهرية تحيد عن مسارها، حتى أنني وددت لو كان مقود سيارتي في الوسط ولا يميل لهذه الجهة أو تلك! لا أخفي عليكم، تخلى عني الجميع وكرهوني.

أصبح، أضحى وأمسي وحيدا.. لكن، تبا لهم. لم أخلق لإرضائهم.

ولجت المنزل بعد يوم عمل شاق، ألقيت نظرة متفحصة على الأثاث لأتأكد أن أطاع أوامري ها ها ها، أنا فقط أمزح. ثم توجهت إلى الحمام للاسترخاء قليلا. نظرت في المرآة وتحسست وجهي.. كل شيء في مكانه! ثم ما هذا الهراء؟ أحضرت مصباحا يدويا وسلطته على عيني. لم ألحظ هذا الجنون من قبل..

لدي عين زرقاء والأخرى تميل للون الأخضر! يا إلهي ما هذا العقاب القاسي؟ لست مثاليا كما أظن.. الزرقاء هي الأصل أنا متأكد، الأخرى كأنها تعود لشخص غريب يرمقني بسخرية ليهدم صرح الجمال الذي بنيته قطعة قطعة..

سيضحك كثيرا من يضحك أخيرا!

فتحت الدرج وأخرجت مقصا صغيرا..

- ما زلت تنهق في رأسي أيها الأبله ! ما رأيك في هذا الرد..

غرست الرأس المدبب في المخلوق الشيطاني..

صرخ عبر حلقي..

قهقهت عاليا لأطمس نهيقه..

أخرجت الكويرة المقززة وقطعت العصب..

لدي بعض الخبرة في مجال التمريض..

نظفت الفجوة بمطهر طبي... وضمدتها.

بدا نبضي يستعيد وتيرته الطبيعية.

كان سريري في الانتظار.

تمددت على ظهري لاستمتع باستراحة المحارب.

نظرت قليلا في المرآة التي تغطي السقف..

نعم لدي مرآة في السقف!

باقتلاعي عين ذلك السافل.. وقعت في ورطة أخرى.

لدي عين في اليمين وفجوة غبية في اليسار!

لم أتردد كثيرا، فأنا شخص عملي. توجهت للحمام.

فتحت الدرج.. و!

***

(9) كيف تقتل وحشا

أدرت المفتاح بالقفل، كانت زوجتي خلفه بنظراتها القلقة. جلست وحدي لبرهة، أتأمل زاوية معتمة بالغرفة، قبل أن أشعل اللوح الإلكتروني وأشغل الفيديو الذي حفظت تفاصيله عن ظهر قلب..

لقطات نادرة صورت من قبل هاو ما قبل إخلاء القاعة واستمرار أطوار المحاكمة ضمن جلسة مغلقة.

لا تسألوني كيف حصلت عليها، كان ذلك منذ زمن حين عاش الوحش بين عائلتي.

خطوة خطوة تتبعت الأحداث..

الطبيب الشرعي يحضر جهازا ألقى بالصور فوق القماش الأبيض كقارئ طالع، صور شقيقي الأصغر آدم ..أو ما تبقى منه. كلماته التقنية الباردة تتحدث عن أشياء مجردة لا تترجم الواقع الرهيب، ولا تلقي بالا للحزن، ينساب على خد أمي سائل جاف حارق.

أوصال الصبي أحجية جهنمية مبعثرة عارية تحت رحمة المحلفين..

ورئيس الجلسة يعتلي منبره الخشبي كإله عديم الفائدة ينصت للآخر ينقر الآذان برموزه السخيفة.

كل أفراد العائلة لزموا صمت القبور مستعجلين الخروج من هذه الورطة.

في ركن قصي رأيته يتحدث مع محامية بصوت خافت..

في جزء من الثانية توجه لعدسة المصور نظرة كثقب أسود جعلته يرتبك ويرتعد المشهد. ثم لا شيء..

الباقي أعرفه..

كنت حاضرا..

من كان يتصور أن ثنايا روح هذا المراهق التافه تحمل كل هذه القذارة الشيطانية.

لم يستطع كبح جماحها أمام براءة شقيقي الصغير..

الحكم كان مهزلة بحجم المسرحية: بما أن المدعى عليه قاصر، حكم عليه بالسجن عشر سنوات..

أربعة منها سيقضيها داخل مركز إعادة تأهيل الطفولة الجانحة وما تبقى من العقوبة بإصلاحية للبالغين.

تذكرت دموع أمي..

لم تكن الوحيدة التي زار الوحش بيتها.

لا أتذكر عددهن..

اختزلت فقط كل لوعاتهن في نظرتها التائهة.

زوجتي تطرق الباب وأنا أفكر بالطريقة المثلى لقتله.

ربما بواسطة شفرة حلاقة..

أشنقه بحبل..

زوجتي تطرق الباب بقوة..

الأمر أعقد من هذا..

كيف تقتل وحشا وهو بداخلك

***

(10) اليقطينة

منذ سنة خلت، انتقلت وزوجتي إلى ذلك المنزل الريفي الكبير. كان ذلك عمر معاناتي مع الكوابيس. في كل ليلة كنت استيقظ في جوف الليل أتصبب عرقا وقد نال مني الرعب مأربه، محدقا في زوجتي بنوع من الحسد وهي تغط في نوم عميق. استشرت أكثر من مختص، كانت النتيجة إضاعة المزيد من الوقت والمال.

بدأت استسلم لقدري وقد تدهورت صحتي وأنا أغوص ببطء جهنمي في الفوبيا وغيابات الجنون.

نمت تلك الليلة وأنا مستعد للأسوأ الذي.. لم يحصل!

بالمقابل حلمت أنني أمرح بمنتهى السعادة في مرج أخضر مترامي الأطراف.

لمحت شيئا يتناقض لونه الناري مع الخضرة الطاغية.

كانت يقطينة ضخمة، أيقظت في ذكريات الطفولة وجنون الهالوين.

جثوت أمامها وقررت أن أنحت فيها وجها مخيفا.

لم تكن معي أية أداة فاستعملت أصابعي. لحسن الحظ كانت طرية. دفعت كلا إبهامي بقوة في الأعلى لأشكل العينين ثم أخرجتهما وتذوقت العصارة اللذيذة.

منطقة الأنف كانت أقسى قليلا لكنني تغلبت على المعضلة.

أخيرا شرعت في تشكيل الفم المبتسم بقسوة سادية.

عدت للواقع في جوف الليل، لكن هذه المرة كنت ابتسم. ربما تخلصت من اللعنة.

كانت زوجتي مستلقية على جنبها تغط كعادتها في نوم عميق.

أحسست بمادة لزجة بين أصابعي وشفتي. عجبا! هل أحضرت معي جزءا من الحلم إلى فراشي.

أشعلت الأبجورة.

تأملت أصابعي.

كانت المادة الدبقة قرمزية، خثرة..

تجلطت على يدي وملابسي.. والفراش.

في غمرة الرعب وعلى وشك الانهيار حاولت إيقاظ زوجتي.

صعقت.

كانت (تنظر) إلى بثقبين داميين ووجه معذب.

***

(11) بائع الأحلام

كانت نبرته ساخرة لما سأله بخبث لم يحاول حتى إخفائه:

. هل حقا تبيع الأحلام؟

. لن أجيبك ستحكم بنفسك

. وكم ثمن "أهههممم".. الحلم؟!

قالها كاتما ضحكة هستيرية بصعوبة.

. هذا يتوقف على نوعية الحلم، مدته الزمنية، وعدد الليالي حسب الطلب.

. أرى أن لك جوابا لكل شيء. وهل الأحلام أنواع؟

. طبعا الأحلام الجميلة على رأس القائمة، تأتي بعدها الأحلام الملهمة ثم الأحلام الشفائية، الكوابيس، الأحلام الواقعية.. هذه الأخيرة لم يجرؤ أحد من المطلعين على مجرد التفكير فيها، حتى أنا لا أعرف عنها الشيء الكثير...

. عجبا، عجبا.. تجهل نوعية بضاعتك!

. ليست بالضبط بضاعتي.. أنا مجرد وكيل تجاري أتقاضى عمولة...

. ها ها ها ! وما جدوى هذا الهراء؟ لم سأدفع لك مقابل شيء خيالي؟

. ليست لدي ضمانات.. أنت من قصدني. تدفع حسب طلبك، نوقع العقد، وهذا كل شيء.. وإن لم تقبل.. تعرف الباب..

. سؤال أخير..

. بسرعة..

. هل يعقل أن يطلب أحدهم كابوسا؟

. نعم.. لشخص آخر!

. مثير.. أريد حلما جميلا، يدوم طول الليل لمدة أسبوع!

. سيكلفك ذلك سبع قطع ذهبية واحدة عن كل ليلة..

. هذا كثير..

. قلت لك.. الأحلام الجميلة على رأس القائمة، ضع الكيس على ناصية الطاولة، إياك أن تسلمه لي يدا بيد! ثم أكتب اسمك وعنوانك هنا ووقع أسفله.

نفذ المطلوب..

نهض «الوكيل» من مقعده وفتح خزانة

غريبة تحوي غرضا ملفوفا بخرقة..

. خذ هذه ورح لحال سبيلك، لا تفتحها إلا ليلا وأنت فوق سريرك.

بدا له أن الزمن استغرق دهرا..

على فراشه فتح الثوب والفضول يتآكله.

كانت مجرد وسادة قديمة متسخة تردد أن يضع رأسه فوقها.. لكنه أخيرا فعل..

تقلب في فراشه ينتظر أن يراوده النوم

دون جدوى...

فجأة رأى جسدا يشاطره السرير..

تجاوز رعبه وحدق فيه ليجد أن المخلوق يكاد يكون توأمه.. بغض النظر

عن سواد لونه المائل للزرقة ونظرته النهمة إضافة لطول أظافر مخالبه..

رباه!

خاطب نفسه بصوت عال..

كالصدى الكهفي أجابته قهقهة متهكمة.

. طلبت أسبوعا. ستكون كل ليلة أجمل من سابقتها!

حينها علم أن الأمر لم يكن مزحة..

ازداد يقينا لدى رؤية ثلاثة خدوش متوازية حارقة على طول ساعده.

عض شفتيه حتى أدماهما ندما، حين رأى نفسه يدس بعض الحصى في الكيس بدل القطع الذهبية.

أراد أن فقط أن يكون واقعيا، فحصل على حلم بمقاسه.

واقعي أفظع من اللازم.

***

(12) اللعبة

أول مرة رأيته ينظر إلي بعينين مستديرتين

ملؤهما الانبهار والطمع، كرهته أشد الكره

تماما كما كرهت أسلافه من الصبيان المزاجيين القذرين.

لكنني لم أكن اكتفي بالكره المجاني السلبي،

كنت دائما أقوم بما يحول تلك الطاقة

إلى شيء لن ترغبوا مطلقا بمواجهته.

كان يصيح بصوته الرقيق الحاد..

. بابا! أريده أريده أريده.. أرييييييييده!

بدت على ملامح الأب علامات ضيق.. شوه حركات شفتيه وعينيه.. لكنه في الأخير استسلم، فاقتربا مني..

استسلمت أنا الآخر منتظرا ما ستسفر عنه تلك المهزلة..

لباسي المزركش الرائع استحال كئيبا جراء تداول الأيدي لجسدي النحيل، بهت وأضحى منفرا.. لكن ذلك لم يمنع الأحمق

الصغير من تلك النزوة الغريبة: امتلاكي.

فرح بائع المتلاشيات أيما فرح بالتخلص مني لقاء ثمن محترم، مستغلا إصرار ذلك الجحش الأرعن الذي لم يترك لوالده الحمار خيارا.

في أول لقاء «حميمي» بيني وبين مالكي

الجديد كسر ذراعي!

شعرت بألم شديد.. تدلى ساعدي من المفصل بشكل مثير للشفقة وشلت حركته مع يدي التي كانت تمسك القطعة النحاسية بإحكام وإحباط..

استعصى على الانتقام، لأنني كلما أدير المفتاح الميكانيكي بظهري وقرعت قطعتي

الصنج مات مشغله تحت وطأة الألم الرهيب..

بالمقابل حصلت على الجائزة الكبرى!

هذه المرة لم تكن كسابقاتها..

كسر ذراعي ومعه اللعنة..

نظرت إليه من أعلى وأنا ابتسم..

رضيت كثيرا كثيرا بجسده الدافئ المكتنز، فيما تحجرت دموعه داخل مسكني القديم الضيق البارد..

سيجرب العيش داخل حطام عديم النفع.

سأجرب القتل اللذيذ بكلتا يدي!

***

(13) الفريسة

كان المنزل يتنفس ثراء ووحدة في تلك الضاحية الراقية.

الفريسة المثالية..

تسور الحديقة الخلفية..

كانت النوافذ الضخمة تنظر إليه باستعلاء واحتقار بعيونها الحالكة الفارغة من الروح..

قفز بخفة ووضع يديه على حافة إحداها كانت مفتوحة بغباء جنوني.

لم يلقبوه بالقط عبثا.

أثناء محاولته حمل جسده ليندس من خلالها انهال زجاجها الذي يفتح ويغلق صعودا ونزولا على يمناه كالمقصلة..

بترت أصابعه الأربعة..

وبقي الإبهام يتيما يرقص لا إراديا..

خيوط من الدم انسابت على الجدار بهدوء.

لولا ردة فعله السريعة لسقط من العلو الشاهق، فبقي متشبثا بيسراه في إصرار ويأس.

مذاق الدم أيقظ البيت فبدأت النوافذ والأبواب اللامتناهية ترقص بجنون..

فغر فاه دهشة ورهبة..

لم ينتبه لغطاء سرير زحف نحوه من الكوة المظلمة.

انقض عليه وكفنه.

سحب للداخل في لمح البصر، وساد الهدوء.

مر بعض الوقت.

توقفت جرائم السطو التي أقضت مضجع

سكان الضاحية فجأة.

الله وحده يعلم السبب..

وذاك المنزل.

***

(14) غضب هيليوس

لفظ البحر الحانق حفنة البحارة المتبقين..

فوق الجزيرة..

نال منهم الإرهاق الذي أججه الجوع والعطش..

بحثهم عن المؤن كان مضنيا..

دون جدوى..

ليتيقنوا أن اللعنة ما زالت تلاحقهم، وأن فخا ما سيطبق فكه عليهم..

سمعوا خوارا قويا من بعيد.. تتبعوا الصدى بشق الأنفس..

من أعلى جرف شاهق لمحوا قطيعا عظيما من الجواميس..

هللوا واستبشروا خيرا..

كانت السرعة التي لحقوا بها ضالتهم لا يعادلها إلا تشبثهم المستميت بالحياة.

. توقفوا أيها الحمقى! توقفوا! لا ترتكبوا جريمة أشنع من التي قادتكم للضياع وسط البحار!

صرخ بها أحدهم.. شيخ لم يقو على اللحاق بهم.. ثم بعد أن خارت قواه قال في شبه همس..

. أنها ملك هيليوس إله الشمس الذي يرى كل شيء..

زحف إليهم.. لما وصل.. اتسعت عيناه من الخوف..

كان رفاقه كالضواري يرتوون من الدم وهم يضحكون غير آبهين..

نصبت النيران في أماكن متفرقة على أرض الجزيرة.. فعبقت برائحة الشواء

الشهية..

أمسك الشيخ رأسه متأوها.. منتظرا في استسلام..

تأججت السماء نارا... والبحر معدنا مصهورا..

سمعوا قطع اللحم تخور!

أحكم الرعب قبضته على قلوبهم..

لاذوا بالفرار.. إلى حتفهم..

ذابت أجسادهم..

نفر منهم لجأ إلى كهف مظلم..

لم يصدق الشيخ أنه ما زال يدب حيا!

هو الوحيد الذي كان يعلم أن عدد الجواميس

كان بعدد أيام السنة..

وأي اختلال في العدد..

هو تدنيس لمعبد الزمن..

هو الوحيد الذي كان يعلم..

أنهم موتى مع وقف التنفيذ..

لبرهة!

***

(15) بكامل إرادتها الحرة

"بسمة" - ذات الخمس سنوات - تقف على حافة النافذة الخارجية وهي تتأمل السيارات التي بدت كقطع المكعبات المضيئة من ارتفاع العشرين طابقا، بدت مبهورة وهي تحرك ذراعها بسيارتها الصغيرة في حلقات وتصدر أصوات طفولية:

- فووووو... ويواااا ويواااا

كانت والدتها تسير في الممر خارج الغرفة عندما سمعت صوتها فدخلت الغرفة مبتسمة واستغرق منها الأمر لحظات قبل أن تستوعب أن ابنتها تقف خارج النافذة، تسمرت مكانها في هلع وبدأت تقترب من النافذة في بطء شديد.

خرج صوتها متقطعا وهي تقول:

- "بسمة".. حبيبتي.. تناولي يدي لكي نلعب لعبة جديدة.

شعرت باطمئنان نسبي و"بسمة" تستجيب لها وهي تمد يدها نحوها قائلة:

- ماما..

ومدت يدها نحوها لتمسك بيدها وهي تتابع:

- ماما "أوحشتيني" للغاية، تعالي معي هنا فالمشهد غاية في الجمال.

دقات قلبها تتعالى وهي تحاول بهدوء سحبها للداخل بعد أن نجحت في الإمساك بيدها.

وهنا وصل إلى أذنيها صوت بكاء مكتوم، فالتفتت نحو مصدره لتشاهد "بسمة" متدثرة بغطائها الوردي ترتجف على فراشها وعندما التقت عيونهما قالت في صوت مرتجف:

- أنا خائفة يا ماما، من هذه؟ إنها تشبهني للغاية.

نقلت بصرها بين "بسمة"و"بسمة" في عدم فهم تحول إلى ذهول قبل أن تنتبه لخشونة كف تلك التي تقف خارج النافذة والتي ابتسمت ابتسامة من الأذن إلى الأذن حرفيا وهي تعبر النافذة المفتوحة إلى داخل الغرفة لتبدأ المرح.

***

(16) نوباتجية

نوباتجية مملة بالنسبة لـ د. "فريد" - في أول أسبوع له - كطبيب طوارئ بقسم العناية المركزة، هناك ست حالات غيبوبة يرقدون على مراتبهم الهوائية الطبية كالنباتات بمقاييس حيوية متدهورة ولكنها مستقرة. نداء النيكوتين يضرب جدران جمجمته في غير رفق وسيحتاج إلى خلوة غير شرعية مع سيجارة بنكهة الخوخ تعيد الانتظام إلى خلايا عقله، غادر العنبر المعقم ووقف في الظلام الذي عجز مصباح النيون عن تبديده، الممرضة "نشوى" نائمة وقد أسندت رأسها إلى مكتب الاستقبال، ينفث دخان السيجارة عبر فرجة صغيرة في نافذة الممر ويتأمل مرضاه من خلف واجهة العنبر الزجاجية، وهنا لفت انتباهه انقطاع مفاجئ للتيار داخل عنبر العناية، فترك سيجارته على حافة النافذة وتقدم من الواجهة الزجاجية التي كشفت عن الظلام الدامس، خيل له أنه يلمح شخصا ما يقترب من فراش أحد المرضى فأسرع نحو مقبض الباب ليشهق في قوة وهو يهز يده متألما وتأمل حرقا من الدرجة الأولي في راحة يده، نظر إلى المقبض في غير فهم قبل أن يشعر بلمسة على كتفه فانتفض والتفت ليجد الممرضة "نشوى" تقول في خفوت وقد ارتسم الذعر على وجهها واتسعت عيناها:

-عد إلى سيجارتك وتظاهر بأنك لم تلحظ شيئا لمدة خمس دقائق فقط.

عيناها تقولان أنها على علم بما يحدث.

- ما الذي تتحدثين عنه؟ هناك شخص ما.. وهناك مقبض الباب الملتهب..

قاطعته في خفوت:

- يحضر في أول ليلة قمرية من كل شهر والصفقة عادلة واحد مقابل اثنين.

لم يفهم منها شيئا وتغلب واجبه على الخوف الأولي الذي يغمره، فنزع معطفه الطبي ولفه حول راحته المصابة وفتح الباب ليدخل وهو يصيح:

- أنت هناك كيف دخلت وماذا....

وهنا سمعته "نشوى" يصرخ ويصرخ بلا انقطاع.

وفي الصباح وعند تبديل النوباتجية حملت السجلات الرسمية ثلاثة تقارير مهمة:

١- وفاة أحد حالات الغيبوبة الست

٢- عودة اثنان من حالات الغيبوبة إلى الوعي فجأة

٣- استقالة د "فريد".

***

(17) الفاجعة

-عامل إيه يا "وليد" يا حبيبي؟ و"ياسر" عامل إيه؟ قول لماما بابا ع التليفون.

- بابا تعالى بسرعة، أنا خايف أوي.. ماما معاهم في الأوضة و"ياسر" عمال يعيط وفي صوت زي صوت الأسود في جنينة الحيوانات.

- "وليد"... "وليد" بتقول إيه يا حبيبي؟ بقولك هات ماما.. أنا مش فاهم حاجة.

- بابا.. بابا.. صوت صراخ.. جم من المطبخ ومعاهم أطباق وسكاكين كتير ولابسين ماسكات على وشهم، أرجوك تعالى بسرعة، مش لاقي "ياسر" وأنا بكلمك وأنا مستخبي تحت الكنبة الكبيرة.

وهنا وضع أحدهم السماعة وانقطع الاتصال.

جن جنون الأب وقطع المسافة من مكتبه إلى منزله بالسيارة في خمس دقائق

وشيطانه يصور له تفاصيل المذبحة المروعة التي تتم في منزله..

"سكاكين وأطباق وأصوات أسود.."

"ماما معهم في الغرفة"

"مش لاقي ياسر"

وكاد قلبه أن يتوقف من سرعة خفقانه وهو يدس مفتاحه في رتاج الباب ليستقبله الظلام الدامس والصمت التام فزحفت أصابعه المرتعدة تبحث عن زر الإضاءة وأغشي الضوء بصره مع صوت كالرعد:

- Surprise Party

تراجع إلى الخلف في ذهول عند مشاهدته لكعكة عيد الميلاد التي تحمل صورته وزوجته وأبنائه وعدد كبير من أصدقائه يرتدون ماسكات كرتونية ملونة ويعانقونه مهنئين.

***

(18) كاتب رعب

كان صوت (أدمن) الجروب حاسما وهو يقول:-

- لم تنشر قصصا منذ أسبوع تقريبا والعقد بيننا ينص صراحة على أن تنشر قصة واحدة مرعبة على الجروب تثير فزع الأعضاء كل أسبوع.

وتحول صوته إلى الغضب الشديد وهو يصرخ:-

- نحن لا نمزح هنا ولا ندير نزلا للعجزة، أين قصة هذا الأسبوع؟

كان يخشى تبعات ثورة (الأدمن) الذي تتناثر الأقاويل حوله سرا بين كتاب الجروب وتتحدث عن بطشه الذي لا يبقى ولا يذر. فهمس مترددا بصوت مختنق في هاتفه المحمول:-

- إنها نوبة من نوبات نضوب الإلهام وسأتغلب عليها قريبا جدا.

صمت (الأدمن) قليلا ثم قال بصوت بارد كالثلج:

- إذن فأنت تحتاج إلى من يجدد إلهامك.

قال عبارته وأغلق المكالمة وترك المؤلف في هم مقيم، يدور حول نفسه كالمذبوح ويطارد إلهاما يأبى أن يجئ وقد بدت عبارة (الأدمن) رغم هدوئها تهديدا مباشرا. فتأكد من إغلاق كل أبواب ونوافذ الشقة والتقط مسدسه من الخزانة وتأكد من حشو خزانته ليجلس والعرق يغمره يلهث في قلق وترقب، وتضاعف توتره عندما بدا يسمع صوت خطوات غليظة على درج البناية فألصق أذنه بخشب الباب، وأرجف عندما سمع تلك الأنفاس اللاهثة الجشعة خلف الباب، فتراجع إلى الخلف ورفع مسدسه نحوه وجحظت عيناه وهو يشاهد تلك اليد المخلبية المشعرة التي اخترقت خشب الباب في نعومة سكين يخترق قالبا من الجبن، وتبعتها يد أخرى وفي ثوان كان عملاقا مشعرا يشبه

غوريلا عملاقة رأسها يصل للسقف قد عبر باب الشقة دون أن يحطمه وقد سطعت عيناه الحمراوتين كمصباحين ضخمين وسوائل خضراء تسيل بغزارة من أطرافه العملاقة، وبدا يتحرك نحوه وقد نشر جناحين كجناحي الخفاش حول جسده وزمجرته تختلط بصوت طلقة الرصاص الحي أطلقها الكاتب مصوبا مسدسه إلى فمه المفتوح وهو يبكي في عويل متصل.

تأمل الكائن جثة الكاتب والدماء التي أغرقت الأرض ليزمجر في حنق ويلتقط هاتف الكاتب المحمول ليطلب آخر رقم ويصيح بصوت متحشرج: -

- لقد جئت حسب أوامرك لألهمه قصة جديدة فانتحر بمجرد رؤيته لي، كاتب رعب ينتحر عندما يشاهد ماردا من الجن.. أي عار هذا! لقد صارت كتابة قصص الرعب مهنة من لا مهنة له.

***

(19) غطيط

الكابوس المقيم الذي كان يطارده كل ليلة هو النوم بجوار زوجته وهي تغط هذا الغطيط المزعج لأرواح الموتى، كان يدفعها ليقلبها يمينا ويسارا عله يصلح العطل الذي يؤدي بها إلى تلك السيمفونية اللعينة، وغالبا ما كان ينجح في خفض صوت الغطيط ليغيب في نوم بلا قاع، حاولت زوجته أن تثبت له أنه يغط مثلها بدون فائدة فلم تجد ما يمكن أن تساومه عليه من قبيل "لا تعايرني ولا أعايرك.. الهم طايلني وطايلك". ولكن في تلك الليلة كان الصوت الصادر عن زوجته غير طبيعيا بالمرة، لدرجة أنه جلس في الظلام يتأملها في صمت مندهش، كان صوت الغطيط قد تحول إلى حشرجة مشروخة خشنة جعلته يقترب بأذنه من أنفها ليستمع إلى صوت أنفاسها على سبيل الاطمئنان عليها، وما أثار ذهوله هو ذلك الصوت الدخيل الذي يصدر عن حلقها مخالفا لكل نغمات الغطيط التي اعتادها، كان صوت شيء ما يتسلق تجاويفها الأنفية مصدرا صوتا يشبه صوت احتكاك قطعتين من الفوم، شعر ذراعيه بدا في الانتصاب رعبا وتحول جلده إلى جلد أوزة، وهو يلمح ما يشبه اليد الدقيقة السوداء ذات المخالب تبرز من طاقة أنف زوجته، تراجع إلى طرف الفراش في ذعر وذلك الشيء يتسلق خارجا بالتدريج، كان ذراعا كاملا قد خرج الآن ليتشبث بالوسادة ويتشنج قليلا قبل أن يخرج الرأس بالكامل. شيء بشع الخلقة يملك أقبح وجه رآه في حياته، كان يجاهد للخروج من طاقة أنفها وهي تواصل صوت الحشرجة حتى خرج بكامل جسده ملوثا الوسادة بطبقة قذرة لزجة من المخاط، حاول في ذعر التظاهر بالنوم وهو يرتجف ولكن ذلك الشيء لمحه، فتح نصف عين يراقب بها ذلك الشيء ليجده يزحف نحوه في سرعة وشهق في رعب عندما قفز نحوه في عنف وسرعة، وبعد مضي ما يقرب من أسبوع كان نائما يغط غطيطا مزعجا وزوجته تجلس بجواره تتأمله في غيظ وقد فشلت في الاستغراق في النوم.

***

(20) لعب أطفال

انتهت الأم من تنظيف المطبخ وأعدت الطعام الذي ستتناوله أسرتها غدا وأعدت لنفسها كوبا من النسكافيه لتكافئ نفسها بعد شقاء يوم طويل بسهرة هادئة أمام التليفزيون، زوجها قد لجأ للفراش استعدادا للاستيقاظ مبكرا للذهاب إلى عمله، والأولاد قد دخلوا إلى غرفتهم حسب تعليماتها الصارمة بضرورة النوم في تمام العاشرة مساء، تعبر الآن الممر بين المطبخ وغرفة المعيشة مرورا بباب غرفة الأطفال المغلق، ومع مرورها بجوار الباب سمعت صوت "سارة" تصيح في غضب:

- سأخبر ماما يا "شريف" إنك قمت بقص شعر عروستي المفضلة.. أيها الشرير.

كتمت الأم ضحكتها وقد قررت أن تنهرهما لأنهما لم يناما حتى الآن ولكنها قررت أن تواصل الاستماع للشجار المضحك أولا.

شريف يصدر أصوات مضحكة وهو يحاول أن يثير سخط أخته أكثر ويكيدها ليقول:

- إذا أخبرتِ ماما عن شعر العروسة سأخبرها عن صديقتك التي حطمت لي الطائرة عندما مرت عليها بأقدامها الثقيلة.

ضحكت الأم ضاقت عيناها وهي تحاول أن تتذكر اليوم الذي استضافت فيه صديقة لـ"سارة" فلم تتذكر.

- نبرة صوت سارة تتحول من الغضب إلى الرجاء وهي تهمس:

- لا يا "شريف" أرجوك.. لن أخبرها.

شريف يدرك أنه قد فاز في تلك المجادلة فقرر أن يحرز المزيد من النقاط.

- حسنا لن أخبرها أن "ريكوشا" تأتي كل ليلة لتنام بجوارك، قبل أن تختفي داخل الجدار صباحا.

ضحكات الأم تخفت وقد بدأت تشعر بتوتر شديد.

- لو أخبرتها عن "ريكوشا"، سأخبرها عن "جساس" الذي يأتي إليك كل يوم عبر جدار صوان ليلعب معك ويشاركك الطعام.

وهنا توقفت ضحكات الأم تماما.

***

(21) كواليس

كانت أوامر مدير تحرير صفحة الفن في الجريدة محددة وصارمة.

- يجب أن تقتحم غرفة "معز يزبك" – ذو الألف وجه – لتنقل لنا بالصور محتويات غرفته من أدوات مكياج وأزياء خاصة تمكنه من تقليد شكل وصوت كل هؤلاء الفنانين، يجب أن نحقق سبقا صحفيا يرفع معدلات توزيع الجريدة إلى الضعف.

وصمت وقتها قليلا قبل أن يلمح تلك النظرة التي يخشاها في عينيه وهو يستطرد:

- وإلا فستقوم الجريدة بالاستغناء عن خدماتك.

عندما صعد ذو الألف وجه إلى خشبة المسرح ليبدأ عرضه اليومي ويلهب الأكف تصفيقا وهو يتنقل في فقراته ما بين شخصية ذلك المطرب مفتول العضلات وتلك المطربة الفاتنة مختصرة الثياب بجسدها الريان، وساد الجنون الصالة وهو ينتقل إلى شخصية ذلك المطرب الخليجي البالغ البدانة صوتا وصورة بطريقة مذهلة، كان ذلك الصحفي يتحرك في الكواليس بكاميرته نحو غرفة ذي الألف وجه لينفرد لأول مرة بتصوير محتويات غرفته من أدوات مكياج وأزياء مذهلة، ومع تسلله إلى الغرفة وفتحه للحقائب فوجئ بخلوها تماما إلا من عدة قوالب ثقيلة توحي فقط بثقلها، وفوجئ بباب الغرفة ينفتح وذو الألف وجه يتطلع إليه في ضيق ممزوج بالأسى، وهو يقول بصوت يشبه صوته تماما:

- لقد اضطررتني إلى هذا وكان كل ما يشعر به وهو يموت هو الذهول لأن قاتله تحولت ملامحه إلى نفس ملامح وجهه.

***

(22) أدي القطة فين اللحمة؟

لو تحدثنا مثلا عن حالة الطفل "توفيق إبراهيم" سنجد أننا أمام حالة جديدة لم تضمها مراجع علم النفس، جاء إلينا منذ سنتين مصابا بالتوحد أو الـ"الأوتيزم"، ودفع والده مبلغا فلكيا ليجد له مكانا في دار "الشفاء" لرعاية الأطفال ذوي الاحتياجات الخاصة، كان متمركزا حول ذاته تماما، فاقدا للاهتمام بأي شكل من أشكال التفاعل، نافرا من كل قواعد النظافة، كان يقضي معظم وقته يتحدث لأصدقاء تخيليين بصوت هامس، والمشرفة "سعاد" قالت لنا يوما أنه يتحدث همسا بالعبرية ولم ينتبه أحدا إلى كلماتها خاصة أنها عادت لتقول أنه يحدث أصدقاءه التخيليين باللاتينية والهندية، ضحكنا طبعا من خيالها الواسع، تسألني متى أصبح الوضع خطيرا؟

لقد بدا الأمر عندما اختفى "توفيق" وقال "عبد الواحد" الحارس إنه فتش مع طاقم المشرفات كل الغرف عنه، وبكت مشرفته "سعاد" عندما شعرت باقتراب فصلها وخراب بيتها وأقسمت إنها أغلقت باب غرفته عليه جيدا، ولكن "عبد الواحد" قرر أن يبدأ تفتيش الحديقة ليجده بجوار نبتة صبار عملاقة وقد فرغ من التهام جزء كبير منها، بالطبع سادت حالة من الذعر طاقم الأطباء وتم إجراء عملية غسيل معدة عاجلة للطفل، وقاموا بمجازاة كل طاقم المشرفات وعلى رأسهم "سعاد" التي أضمرت الأمر في نفسها وقررت بكل قسوة أن تنتقم من الطفل المعاق ذهنيا، واستغلت سوء الأحوال الجوية والأمطار الغزيرة والبرد القارص الذي دفع كل المشرفات لالتزام غرفهم ودخلت إلى غرفة "توفيق" ومعها حزاما جلديا وعندما انتهت العاصفة وجدوا الحزام الجلدي بجوار جثتها في غرفة "توفيق"، الطب الشرعي قرر أن الأمر خارق للعادة فمع معاينة الجثة التي وجدوها في الصباح في غرفة "توفيق"، وجدوها متهتكة تماما وقد فقدت أطرافها الأربعة وأجزاء

كبيرة من الصدر والبطن، وقدر الطبيب الشرعي كمية اللحم التي تم التهامها من الجثة بأربعين كيلو جراما، ستقول لي إن الطفل هو المتهم الأول وهو شيء منطقي طبعا لأنهم وجدوه بجوار بقايا الجثة ملوثا بالدماء، إلا أننا وزنا الطفل وقتها وكان يزن حوالي الثلاثين كيلو جراما.

الغرفة كانت بلا نوافذ ومغلقة من الداخل.

فمن قتل المشرفة ليلتها؟

ومن التهم كل تلك الكمية من لحمها؟

***

وائل عبد الرحيم..

(23) كيف تهزم شبحا

لقد هزمته مرة أخرى..

صديقي العزيز، ومنافسي في لعبة المصارعة في نفس الوقت..

تربينا سويا وكبرنا سويا وأحببنا تلك الرياضة سويا ومارسناها سويا..

وأصبحنا أبطالا بها سويا..

ولكنه لم يهزمني بها قط.. فلقد كنت أبرع وأقوى منه بمراحل..

ولكن لم يؤثر هذا في صداقتنا أبدا.. فلقد كان دوما يتقبل الهزيمة بقلب رحب وسعادة صادقة لي بفوزي عليه..

لكم أحبه هذا الوغد..

وها قد تأهلت الآن بفوزي عليه للنهائيات العالمية وانضممت لمعسكر المنتخب المغلق فودعت زوجتي الحبيبة واتجهت إلى المعسكر و..

تبا لقد اكتشفت فور وصولي نسيان ملابسي الرياضية بالمنزل..

وهكذا استأذنت من مدرب الفريق للعودة والإتيان بها..

وعندما عدت وفتحت باب المنزل بهدوء كي لا أزعج زوجتي سمعت صوتها..

صوتها من غرفة النوم وهي تحادث شخصا بميوعة!!

اقتحمت الغرفة بمنتهى الغضب لأجدها في أحضانه..

في أحضان صديقي العزيز..!!

اشتعل الذهول بداخلي ثم حل محله الغضب الشديد..

غضب جعلني وحشا كاسرا..

قتلتها بضربة واحدة من يدي ثم التفت إليه..

وهكذا بدأت المباراة الأخيرة بيننا..

مباراة لم ينتصر بها أيضا..

فها هو يفترش الأرض أمامي بعنق محطم وذكرى سيئة لن أنساها ما حييت..

وبعدها تحطم عالمي تماما..

بالرغم من حصولي على براءة بمقتضى الدفاع عن الشرف لكن توقفت عن العمل والرياضة أيضا..

ولكن ليس بسبب ما حدث..

ولكن بسبب شبح ذلك اللعين الذي عاد لينغص على حياتي ويطاردني في كل مكان..

اتهموني بالجنون والعته وطردوني من النادي والمنتخب وصرت في نظر الجميع معتوها بينما لا يزال ذلك الشبح اللعين يطاردني..

ألم يكفه ما فعله..

ألم يكفه خيانته لي..

والآن كيف أتخلص منه..

كيف أتخلص من شخص ميت بالفعل.. !!

كنت أنتصر عليه بسهولة عندما كان بشرا..

ولكن كيف أنتصر عليه الآن؟

فكرت كثيرا..

وأخيرا توصلت إلى الحل..

اليوم علمت كيف سأهزمه وأجعله يندم.. على خيانتي أولا وعلى عودته لي ثانيا..

وبعد فترة كان شبح صديقي يهرب مذعورا وهو يتلفت وراءه في رعب..

ولكنه لن يهرب مني كثيرا..

فسأناله حتما وأجعله يندم على كل لحظة خانني أو أذاني بها..

فهو لم يهزمني قط عندما كان بشريا مثلي..

والآن لن يهزمني بالتأكيد بعدما انتحرت وصرت مثله..

شبح..!!

***

(24) المنزل

دلفت من باب ذلك المنزل وكلي ثقة..

لقد تحداني صاحبه لدرجة أنه راهنني بمبلغ مائة ألف جنيه لكي أثبت أنه لا شيء غريب به وذلك بعد أن تكررت شكاوي السكان من الأحداث الغامضة التي تحدث به..

كنت قد اكتسبت شهرة واسعة في مجالات ما وراء الطبيعة بعد أن كتبت عدة كتب سابقة أفند فيها ظواهر غامضة كثيرة أضجت مضجع الكثيرين من المهتمين بهذه الظواهر..

وليس ببعيد كشفي لسر عمارة رشدي نفسها..

ولقد كان كشفا عبقريا لم يتوقعه أحد تحدث عنه المهتمون بهذه الأمور طويلا مما زاد من شهرتي..

والآن أنا استقل مصعد تلك العمارة متوجها إلى تلك الشقة التي قرر صاحب المنزل إقامتي بها مدة الثلاثة أيام التي اتفقنا عليها وقد راهنني أنني لن أخرج من المنزل إلا وأنا مقتنع أنه يوجد به شيء غامض ورهيب.

توقف المصعد معلنا عن الطابق الثاني الذي يخصني فخرجت منه وتوجهت إلى شقتي..

حسنا لن أطيل في الحديث ولكنني بالفعل لم أجد شيئا غامضا طيلة الثلاثة أيام..

تعرفت على السكان، حيث كان يقطن بالطابق الثالث رجل أعزب صموت لا يتحدث كثيرا وبالطابق الرابع سيدة عجوز وزوجها.. وكانا ودودين وطيبين للغاية.. وبأعلاهما أسرة ظريفة من أب وأم وطفلين لطيفين..

جلست معهم كثيرا ورووا لي حكايات عن بعض الأشياء الغامضة التي تحدث بالمنزل.. ولكني ومع ذلك لم أواجه أي شيء غامض..

نهائيا..

حتى أثناء بقائي بمفردي..

توقعت حدوث أي شيء حتى ولو من قبيل الخدعة..

ولكن لم يحدث شيء..

وهكذا وبعد انتهاء مدة الرهان بيومين كنت أجلس أمام صاحب المنزل المبتسم وأنا أطالبه واثقا بمبلغ الرهان بعد أن حكيت له كل ما فعلته طيلة مدة الثلاثة أيام..

ولكني ولدهشتي وجدته ينفجر ضاحكا مطالبا إياي أنا بمبلغ الرهان وهو يقول وسط ضحكاته: إذن فقد استقللت المصعد إلى الأدوار العليا وقابلت السكان جميعهم وتحدثت معهم، هذا يثبت بما لا يدع مجالا للشك أن المنزل غامض بالفعل.

فصرخت به: طبعا ستقول لي أن أحد هؤلاء السكان أو كلهم قد توفي منذ سنوات، لا تلعب هذه الألاعيب معي يا هذا، فلقد تحريت عنهم جيدا طيلة اليومين الماضيين وجميعهم طبيعيون وأحياء يرزقون..

استمر في الضحك وهو يخرج بعض الصور للمنزل من درج مكتبه ويلقيها أمامي قائلا: ليس السكان يا صديقي..

نظرت إلى الصور واتسعت عيناي ذهولا وقد علمت ما يقصده قبل أن أسمعه من شفتيه وهو يميل على قائلا بلهجة مخيفة: بل المصعد..

ثم تراجع وهو يبتسم بتشف مكملا: فالمنزل يا عزيزي لا يوجد به مصعد.. نهائيا..!!

(25) شؤم

"شؤم.. أنتِ شؤم أيتها اللعينة"

وقف وسط أرضه يصرخ في زوجته بتلك الكلمات مشيحا بيديه ثم أكمل: منذ تزوجتك والمصائب تتوالى علي، كنت من أثرى الأثرياء فخسرت جميع أموالي ومصانعي وشركاتي وأشهرت إفلاسي في سنة واحدة، لم أدخل مشروعا إلا وخسرته، لم أشتر أو أتاجر في سلعة إلا وكسدت وبارت، مخازني سرقت أو احترقت، حتى صحتي دمرت وحار الأطباء في علاجي من الأمراض التي توالت على وأنا الذي لم أمرض طيلة عمري..

ثم أشار بيده فيما حوله متابعا الصراخ: حتى تلك الأرض التي اشتريتها بآخر ما أملك من أموال عسى أن أستصلحها وأعوض خسارتي بها وبالرغم من أن كل الأراضي من حولها حدائق غناء إلا أنني فوجئت بأنها هي بالذات أرض بور لا تصلح للزراعة، أي شؤم أكثر من هذا؟، لقد تسببت في نحسي وإفلاسي ومرضي، لقد أصبحت أوقن أن نهايتي ستكون على يديك يوما ما..

نظرت له بغضب وهي تقول: تنعتني أنا بالشؤم وأنا التي لم أر معك يوما جيدا أبدا، تزوجتك وأنا أتخيل أن أيام الشقاء والبؤس قد ولت وأنني سأرفل في نعيم أموالك، أموالك التي تسببت أنت في خسارتك لها بمغامرات حمقاء ساذجة وتعود الآن لتلقي اللوم على أنا بمنتهى البساطة..

ثم ضربت الأرض بقدمها صارخة: طلقني الآن، لا أريد أن أظل معك يوما واحدا..

كان ثائرا لدرجة أنه هم بالفعل بإلقاء يمين الطلاق عليها، ولكنه وقبل أن ينطق بحرف واحد فوجئ معها - ومع دب قدمها في الأرض-

بالأرض نفسها ترتج بشدة، قبل أن تنهار من تحتهما فجأة ليسقطا سويا داخل حفرة متوسطة العمق والأتربة تنهال من حولهما، لكنهما لم يتضررا، ليقفا بعد قليل متأملين من أثر السقطة مديرين عينهما فيما حولهما..

لتصرخ الزوجة فرحة: يا إلهي.. مقبرة فرعونية كاملة بكل كنوزها.. أصبحنا أثرياء يا زوجي.. لا تقل على شؤما مرة أخرى بعد ذلك..

بينما أدار هو عيناه فيما حوله رعبا وأنفاسه تتلاحق وأمسك بصدره قائلا: شؤم.. أنت شؤم.. كنت أعلم أن نهايتي على يديك أيتها اللعينة..

وسقط جثة هامدة ويملأ الرعب ملامحه أمام زوجته المذعورة التي لا تعلم ماذا فعلت لينعتها بالشؤم هذه المرة ويحدث ما حدث..

فهي لم تكن تعلم أن زوجها يعاني خوفا مرضيا - فوبيا- من الأماكن الأثرية والقديمة..

خوف يصل حد الموت..!!

***

(26) الأصل والصورة

جلس منهارا باكيا والجروح تملأ وجهه ويديه وملابسه ممزقة وأنفاسه تتلاحق والذعر يبدو على ملامحه وهو يهتف فيمن حوله: امسكوه.. الحقوا به.. اقتلوه.. ذلك اللعين حاول سرقة حياتي وعملي وأسرتي..

تبادل سكان بلدته المتحلقين حوله النظرات المتوترة بينما اقتربت زوجته ناحيته قائلة في جزع: اهدأ زوجي العزيز واحك لنا ماذا حدث وما الذي فعل بك هكذا، لقد كنت في خير حال عند خروجك للعمل صباحا..

نظر إليها بأعين زائغة وهو يقول: لم أكن أنا..

ومع دهشتها أكمل: أنت تعلمين زوجتي العزيزة ما كنا نعانيه من ضيق العيش وقلة الرزق، حتى تم الإعلان من قبل تلك المؤسسة العلمية الجديدة عن حاجتهم لمتطوعين لتلك التجربة، تجربة الاستنساخ، حيث يتم تجربة عمل نسخة من المتطوع مقابل مبلغ كبير ومنزل وسيارة وعمل محترم، ولقد تقدمت للتجربة بكامل إرادتي بالرغم من اعتراضك عليها، حيث لم يكن أمامي سبيل غير هذا، وتمت التجربة ونجحت، وأخذت الأموال والمنزل والسيارة والعمل، وبدأت أحوالنا تنصلح أخيرا، ولكن حدث ما لم أضعه في حسباني..

وأدار عينيه بينهم وهو يقول: لقد هرب منهم ذلك المستنسخ..

شهق الحضور بينما تهافتت عبراته وهو يكمل: مازلت أتذكر هجومه على وضربي وعندما أفقت وجدت نفسي مقيدا في كهف في الجبال، لكم عانيت حتى نجحت في فك نفسي والهرب، وأتيت إليكم لإخباركم الحقيقة فوجدته وقد احتل مكاني في منزلي وعملي وحياتي، وعندما رآني أمامه وهو يخرج من عملي حتى فر هاربا جهة الجبال،

أرجوكم الحقوا به، الحقوا به قبل أن يأتي اليوم الذي لن تستطيعوا فيه تفريقنا عن بعضنا البعض.. أمسكوه..

شهقت زوجته وهي تضع يدها على وجهها بارتياع وهي تسأله: منذ متى حدث هذا؟

نظر إليها قائلا: منذ يومين.. ولكن لماذا تسألين؟ أخبريني؟ ما الذي حدث بينكما؟ هل...

لم يكمل سؤاله ولكن إجابتها ظهرت على وجهها الذي ازداد امتقاعا لينهض بالرغم من إصاباته ومظهره المزري ممسكا ببندقيته قائلا: سأقتله، أقسم سأقتله ولو كان هذا آخر ما سأفعله في حياتي..

وهرع خارجا يتبعه الجمع الغاضب وفكرة قتل المستنسخ تسيطر على رؤوسهم جميعا..

.....

تعثرت خطواته وهو يحاول الابتعاد بأقصى سرعته وسط تلك الجبال الوعرة..

لقد لمحهم من بعيد وهم يسعون خلفه..

وعلم أنهم آتون لقتله..

فلقد لمحه من بينهم..

لم يكن يستوعب بعد أنهم نسختان من نفس الشخص..!!

استمر في الهرب وقد كادوا يلحقون به وهو يلعن في قرارة نفسه ذلك اليوم الذي وافق فيه على تلك التجربة ووافق على صنع نسخة منه..

نسخة الآن قد استطاعت سلبه كل ما يملك...

نسخة لم تكتف بالهجوم عليه وضربه وإلقائه هنا..

بل وأثارت أهل البلدة عليه..

والآن هو موقن من أنه لن يتوقف أحد حتى ليستمع إليه ليخبرهم بأنه هو الحقيقي..

والآخر هو..

المستنسخ.. !!

***

(27) مريض ليلي

كانت نوبتجية سيئة بالتأكيد..

كان عندي كل الحق في أن أتشاءم منذ علمت بتكليفي للعمل كطبيب بتلك الوحدة الصحية اللعينة في تلك القرية النائية التي يحتضنها أحد جبال الصعيد..

فمنذ يومي الأول بها وأنا أسمع أصوات طلقات الرصاص كل يوم..

صباحا ومساء.. وليلا أيضا..

يقول لي العاملون - خصوصا تلك الممرضة السمجة من أهل القرية- أن هذا شيء عادي، وذلك للخصومة الثأرية الكبيرة بين اثنتين من كبريات عائلات البلدة..

وهكذا تعودت على أصوات الرصاص..

وأيضا تعودت على تلك الإصابات النارية الشبه يومية التي تأتي إلى في الوحدة جراء تلك المشاجرات بين العائلتين..

حتى كان ذلك اليوم الذي لن أنساه ما حييت..

كان الوقت ليلا، وكنت نائما أمني نفسي بقضاء ليلة هادئة للصباح، ولكني فوجئت بتلك الممرضة السمجة توقظني بعنف وهي تخبرني بأن نجل كبير إحدى العائلتين قد أصيب بطلق ناري وقد تحامل على نفسه حتى وصل إلى الوحدة وسقط بالاستقبال وحالته سيئة للغاية..

وهكذا وبالرغم من حنقي من قطع نومي هرعت لأداء واجبي بقدر ما تسمح به خبراتي المتواضعة وإمكانيات الوحدة الأقل تواضعا..

ولكن كانت الحالة سيئة للغاية بالفعل..

فلقد كانت الرصاصة قد اقتربت من القلب كثيرا والمريض قد نزف كثيرا بالفعل و....

ومات بين يدي..!!

وعندها سمعت أصوات غاضبة كثيرة وأتى فرد الأمن المسكين ليخبرني بأن عائلة المصاب قد علمت بما حدث وآتون للاطمئنان عليه..

ازدردت لعابي في ذعر وطلبت من الممرضة إخبارهم بوفاة ابنهم..

اعترضت كثيرا في ذعر ولكني صرخت بوجهها أن تقوم بمهمتها وأنهم سيتقبلون الخبر منها باعتبارها من أهل بلدتهم وستستطيع التفاهم معهم بالتأكيد.. فوافقت على مضض.. وذهبت..

ولكن.. حسنا.. يبدو أن قدرتها على إيصال الخبر لم تكن بالكفاءة اللازمة..

فلقد سمعت أصوات هرج ومرج وصياحا عاليا وطلقات نارية..

اختبأت في إحدى الغرف حتى هدأ الوضع وعندما خرجت علمت ما حدث..

لقد ثار أهل المتوفى على الممرضة المسكينة و....

وقتلوها.. !!

دارت تحقيقات كثيرة في الأيام التالية وتم القبض على بعضهم ومرت أيام حتى هدأت الأوضاع أخيرا..

حسنا لم تهدأ تماما..

كانت هناك بعض المضايقات..

ولكن كان باستطاعتي تحمل بعضها..

كان باستطاعتي تحمل أن يأتي شبح القتيل للوحدة يوميا معيدا وبالتفصيل ما حدث منه يوم قتل..

ولكني لا أستطيع مطلقا تحمل أن يوقظني من نومي يوميا أيضا شبح تلك الممرضة السمجة لإعادة الكشف على شبح القتيل..!!

كنت أعلم هذا..

كنت أعلم أن عملي في تلك البلدة لن يمر على خير..

أبدا.. !!

***

(28) مجرد مهنة أخرى

دلفت بتثاقل من ذلك الباب لأبدأ يوم عملي الجديد..

تطلعت في لا مبالاة إلى قطرات الدم المنتشرة على الأرضية وأنا أتجه إلى دورة المياه لأقوم بغسل وجهي ولأقضي حاجتي في نفس الوقت..

تبا ألم يجدوا غير حوض غسيل الوجه ليضعوا به تلك الملابس المليئة بالدم..!!

سأدخل دورة المياه إذن ثم أذهب لأمارس عملي فورا..

سحقا توجد بقعة كبيرة من الدماء على الأرضية وقاعدة الحمام..

هؤلاء الملاعين لا ينظفون وراءهم أبدا..!!

لن أذهب إلى حمامنا الخاص فهو بعيد.. ربما أذهب لاحقا..

خرجت من الحمام مستمعا في هدوء إلى أصوات الصراخ المعتادة التي تملأ المكان..

مررت بجانب حجرة بها طفل يصرخ وهو يطلب من زميلي أن يرحمه بينما كان هذا الأخير يقوم بعمله بكل حرفية وإتقان وبرود في نفس الوقت غير مبال بصرخات الطفل التي ارتفعت في ألم صارخ مع بدء زميلي لعمله..

رأيت ثلاثة من الأشداء يمسكون برجل صارخ في رعب وهو يقول: أخرجوني من هنا، أخرجوني من هنا..

تجاوزتهم ثم تطلعت بهدوء إلى ذلك الشخص الصارخ الذي يرقد بذراع واحدة والأخرى مبتورة والدم ينزف بغزارة من مكان البتر..

حقا زملائي لا يقومون بعملهم جيدا.. ألا يستطيعون إيقاف النزيف على الأقل؟؟

وكان هناك آخر يجلس أمام زميلي ممسكا بساقه التي قد التوت إلى الخلف بشكل عنيف بينما زميلي يري المنظر لآخر ليبدو الانهيار على وجه هذا الأخير..

كان هناك شخص مغطى بالدم يرقد على أحد الأسرة وزميل لي يدخل ذلك الأنبوب بقسوة في حلقه..

وكانت هناك مجموعة من النسوة الصارخات في لوعة وألم وهن يمسكن بشاب رقد أرضا وقد ضاعت ملامح وجهه من كثرة الدماء وقد بدا واضحا أنه قد مات وإحداهن تصرخ في وجه زميلي بأنه هو قاتله..

لقد مللت من ذلك على كل حال..

وهكذا وبين صرخات المعذبين وآهات المكلومين والدماء التي تنتشر في كل مكان وصلت إلى حجرتي لأستلم العمل من زميلي وتجاهلت بقع الدماء البسيطة على الأرضية متناولا إفطاري بهدوء حتى انتهيت ثم قلت لذلك العامل البدين الواقف بالباب: ادخل المريض الأول يا شعبان..!!

***

(29) حظ عاثر

بخطى متثاقلة أجر قدماي، أبحث عن مأوى أستطيع فيه لملمة أطرافي المنهكة حتى ينقشع هذا الضباب الكثيف، وتهدأ تنهدات الصقيع المقيتة التي تكاد تفتك بكل جسم تدب فيه الحياة، استجمعت قوايا الخائرة ونفثت نفسا متعبا علني أستطيع تدفئة كفاي المتقرحتان، متجاهلا نخزات الجوع ببطني أخفيت أصابعي حتى لا أرى بقع الدم المنفجرة من أظافري، حتى أني أعجز على لف الأسمال البالية حول جسمي النحيف، ولاحظت فجأة بين الظلمة وخيالات أنوار الشارع الخالي، أن أحدهم يشير لي من بعيد، تبين لي أنه يحاول تحريك سيارته التي علقت عجلاتها بإحدى الحفر، ابتسمت ساخرا وأنا أعجب كيف سأساعده وأنا لا أقوى على السعال مخافة السقوط إلى الخلف وفقد الوعي التام يمكن لأسبوع كامل من شدة وهني فتجاهلته، ولكنه زاد من حركاته لي علني انتبه وأتجه ناحيته، أسدلت أجفاني حتى أرى بوضوح أكثر، وقررت الذهاب اتجاهه، وصلت ثم وقفت أنتظر توجيهاته، لأصدم بشكله الغريب لأنه يلبس معطفا شفافا ويخبئ وجهه خلف قناع مريب، فرجعت قليلا للخلف مرتبكا، وأنا أظنه أنه يحاول عمل مقلبا أو إخافتي بقصد السخرية وتمضية الوقت، لم أسمع له صوتا ولا طلبا وركب سيارته وانطلق وكأن لاعطب كان بها، تعجبت من سلوكه هذا وما أن أردت الذهاب في حالي وإكمال طريقي حتى تعثرت قدمي بشيء أثار اهتمامي، ويبدو أنه كيس بلاستيكي، بنفس المكان على حافة الطريق، تعجبت وفتحته طمعا في أن يكون قليلا من الزاد أسد به أصوات معدتي الهائجة، لأجد رسالة ومبلغا ماليا مهما وفضضت الرسالة بحماس وفضول كبيرين وقرأت كلماتها التي ما

أكملت الكلمة الأخيرة فيها حتى عقدت الدهشة لساني وتساقطت دموعي ساخنة على خدي ندما..... عزيزي قارئ رسالتي السلام وبعد، أنا مجهول ولا يهم من أكون، أحاول أن أزرع فيك لحظة أمل، لعلها تسعدك وتعطيك القوة للتماسك أكثر، أنا إنسان سفاح اقتات من دماء الضحايا، لأرى صرخاتهم المغرية، ونظراتهم المتسائلة، وحتى حشرجات أصواتهم المكبوتة، ولا أرحم أحدا منهم رجلا كان أو امرأة لأرضي نهمي الملعون، ومدة إجرامي الافتراضية ستنتهي اليوم لأني ربما اكتفيت وعاهدت نفسي بالتحكم في نزواتي المخيفة لهتك الأرواح وإلجامها، حتى أني فكرت أن أتحدى ذاتي وأنهي يومي بعمل الخير وإسعاد روح ما، وإن أحسست بالرضا فسأكمل عهدي وأتوب طبعا وإن حدث العكس وفشلت، سأعود بعد عشرة دقائق، يعني بحسب إلمامك بالقراءة وسهولتها عليك، وإن طالت قراءتك للرسالة أم قصرت فهي مدة لحظات حياتك... وإن أكملتها بنجاح أرجوك اهرب واستمتع بثمن حياتك المرفق مع الغلاف لأنك إن لم تفعل... أنا في طريقي إليك.....

وما أن أكملت الكلمة الأخيرة حتى تناهى إلى أسماعي هدير محرك سيارة ما تقترب والأضواء الكاشفة مسلطة نحوي.

***

(30) رد اعتبار

كل مرة عندما أريد التحقق من رؤيتها، تختفي بسرعة في إحدى زوايا البيت العتيق، كانت تقف في الزاوية المظلمة تراقبني في هدوء، لم أكن خائفة ولم أخبر أحدا عنها، ولم أطلب من أصحاب المنزل أن يغيروا لي الغرفة النائية التي سمحوا لي بالنوم فيها.. كنت أشتغل عندهم لكسب قوت يومي، أفيق مرغمة باكرا وأنام مجهدة متأخرة، لأن جسمي المنهك كان يئن دون حاجة أن أخرج معه صوت الـ"آه"، وقسوة قلوب المستخدمين يمنع حتى محاولة طلب إجازة، خوفا من أن أطرد وأتشرد بعدما وجدت سقفا يأويني من جديد..

وعند كل موعد استلقائي فوق فراشي القاسي، ألمح خيالها تحت ضوء المصباح الخافت، تنظر في صمت وحزن، هذه المرة كانت صورتها أوضح، وعيونها لا ترى كالعادة، وحاولت التظاهر بالنوم رغم خفقات قلبي التي كانت تسمع من بعيد، وأحسست بها تقترب، وكل ما لاحظته عندما وقفت بجانبي هو تنميل شديد يخدر جسمي، وفتحت عيوني فجأة لأرى وجهها يدنو مني وأسمع همسات متسارعة وخافتة وكأنها تقول..... لا ترحميهم، اقتليهم، لا يستحقون البقاء.... أنهم وحوش لقد عذبت ودفنت هنا في القبو السري....

وكتمت صرخة مدوية، كنت سأطلقها لولا وضعها أصبعها على فمها بحركة تطلب فيها مني السكوت....

أنا واقفة الآن أمام جثثهم المقطعة أحمل خنجرا يلمع بوهج غريب، ابتسم وكأني تناولت مخدرا ما... لم أعد أشعر بنفسي، ولم تتحرك شعرة في رأسي من بشاعة ما اقترفته.. ولم أسأل نفسي حتى لماذا فعلت بهم هكذا.. وشعرت فجأة بالتعب الشديد ودوار يفقدني توازني.. أردت أن أستند على المرآة الكبيرة بجانبي.. لكنني سقطت عليها بكل ثقلي لتنكسر إلى شظايا حادة شعرت بها تمزق كل جزء في جسمي.. وأنا أغمض عيني والدماء الساخنة تغمر المكان.. مازلت أرى انعكاس وجهها هي في جميع قطع المرايا المنكسرة.. تبتسم بهدوء.

(31) ملامح

كلهم هنا لم أنس أحدا منهم مطلقا، وكل وجه أثر وخط لمسته القاسية على قلبي، علقته في غرفة نومي، نعم مريم أستاذتي التي طالما، كانت ترهقني بالواجبات والتعاليق الساخرة، مدير البنك اللئيم، الذي حول حياتي إلى جحيم، فتاة أحلامي المغرورة، التي صفعتني عندما اعترفت لها بهيامي، وأخيرا صاحب البيت الذي استأجرته، الذي حاول طردي إلى الشارع..... معظمهم موجود بكل تأكيد. نعم نعم موسوعة ألمي ودائرة حنقي كلها معلقة على جدار الغرفة، وكل يوم أعاتب أحدهم وأشرح وجهة نظري له، أتصدقون لقد تناسيت غضبي تدريجيا، وحاولت بدأ صفحة أخرى معهم من جديد، والمفاجأة التي قلبت موازيني رأسا على عقب، بكل بساطة هي تجاوزنا لمرحلة الرسميات والشكليات، ولم نعد نستعمل الألقاب، ك "سيدي، آنستي، أستاذتي...."، كم تعلقت بتلك الوجوه فعلا... وسأفتقدها عندما اضطر لتغييرها بوجوه جلدها أكثر تماسك ونظرة عيونهم لم تفقد بريقها بعد.

***

(32) في حضرة الشيطان

راقتني نظراته، وابتسمت فأنا شخصيا يعجبني الرجل الواثق من نفسه، استدرت لأرتب كتبي من جديد، وأضعها على رف المكتبة، لكني مازلت أحس بنظراته تكاد تثقب ظهري، وأحس بتيار بارد كالجليد، يلفح رقبتي لالتفت متفاجئة لكني لم أجد أحدا والقاعة خالية، لم يبق سواي، يمكن أطلت المكوث حتى حان وقت إغلاق المكتبة ولم أحس بالوقت، شعرت بالوحشة وقررت المغادرة أنا أيضا، أسرعت في خطواتي نظرا لإحساسي بالضيق وكأن شيئا غريبا يكتم أنفاسي، لأستلم كارت الاشتراك من موظف الاستقبال، ما أن وصلت إليه حتى رفع رأسه لي مبتسما، كان يلبس رداء أسود غريبا ويغطي نصف وجه، ركزت فيه غير مصدقة أنه غريب ولا يشبه الموظف المعتاد، ونزع غطاء رأسه ببطء وليكشف عن وجه ليس بالسهل أن يراه المرء ويبقى على قيد الحياة، إنها عيون الجحيم وتعكس لون اللهب المشتعل بحنق، وملامح تقاسيمها من صرخات العذاب وفم مختوم بلعنات البراكين الثائرة، إنه تجسيد حقيقي لنهاية الجمال وبداية الخراب..

ولأطلق بذالك صرخة من أعماقي المهتز لأني فهمت وتأكدت أني وجها لوجه مع الشقاء وفي حضرة الشيطان.

***

(33) حب من طرف واحد

ابتسم لها، وهي ما زالت تنزل رأسها خجلا، أجلسها على الأريكة وقبل يدها قائلا بلطف:

إنه أسعد يوم في حياتي يا أمنيتي الوحيدة في هذا العالم، من يصدق بعد كل ما واجهته من الصعاب أنك معي، أرجوكِ لا تعامليني كغريب، ولا تصديني هكذا أنا زوجك وحبك الخالد، وهم ينزع عنها ستار رأسها الناصع البياض، لكنه توقف مترددا لبرهة ثم مال حتى طرف فستانها الرائع وأزال بعض البقع وكأنها آثار طين عالقة، وبحركة رشيقة فرك القماش وأعاد ترتيبه بعناية.. ودون سابق إنذار وقف بعصبية وجال في الغرفة وهو يعقد جبينه حتى وصل أمامها وعاود الابتسام. ليصرخ بصوت حانق.. حسنا فهمت أنت لم تستوعبي بعد الفرحة التي تغمرنا الآن ولا حتى التضحية التي تكبدتها من أجلك...

لا عليك عزيزتي فداك كل حياتي.. ما رأيك في كوب من الشاي وموسيقى كلاسيكية هادئة ولنرقص أنا وأنتِ للصباح، واستدار وبدأ يدندن بلحن موسيقى كلاسيكية وهو يرقص في خطوات أنيقة.. تا تاا تتتتتتتتا تا تا وفجأة بدأ يضحك بهستيريا بصوت مخيف مجلجل.... وفتح عينيه، بتمهل عندما رآها ترفع رأسها وتديره في كل الاتجاهات، وهي تحاول فك يديها المربوطتين وتحاول الوقوف بيأس ولا تستطيع. حينها جثي أمامها ونزع عنها عصابة عينيها ليكشف عن وجهها المحموم وفمها المكمم بشريط لاصق.. قال بتمهل.. أظن أن مفعول المخدر قد زال.. حسنا لنبدأ بتجربة تحنيط هذا الجسد الرائع يا نصفي الثاني..

***

(34) عشاء في المطعم الصيني

"ماذا سنأكل الآن؟!، القائمة كلها بالصينية"

قالتها (سماح) لزوجها (معاذ)، أثناء جلوسهما في ذلك المطعم الذي قصداه لتناول العشاء في رحلة شهر العسل، التي اختارا فيها (الصين) بناء على طلب الأخيرة، فنظر إليها (معاذ)، وأجاب ممازحًا:

"سنختار أي شيءٍ من القائمة وسنشير للنادل عليه، ثم أن لحوم القطط قد غلى ثمنها هذه الأيام، لذا فلن يقدموها إلينا لو كنتِ فكرتِ في ذلك"

امتعض وجه (سماح) وأصابها الغثيان، ثم ضربت كتف زوجها هاتفة في دلال:

"كف عن هذا المزاح السخيف، أين النادل الآن؟!"

تنقل الاثنان بنظرهما داخل المكان باحثين عنه، ليجداه وقد انشغل في مشاجرة مع سيدة يبدو عليها الفقر والجنون، ذات شعر أسود متناثر وملابس مهترئة، في حين كانت تصرخ بين الفينة والأخرى ببعض العبارات الصينية التي بدا من طريقة نطقها لها أنها سباب.

قرع (معاذ) الجرس، فترك (النادل) المرأة، وهرع مسرعًا إليهما مبتسمًا في كياسة، ثم قال بالإنجليزية:

"هل استقريت على طلبك يا سيدي؟!"

أجاب (معاذ):

"للأسف لا، القائمة كلها بالصينية ونحن لم نفهمها، ماذا لديك في قائمة الطعام؟!"

رد (النادل) في سرعة:

- أنتم عرب أليس كذلك!، لدينا هنا بعض الأصناف خصيصًا للعرب، يوجد (تبولة) من المطبخ اللبناني، و(كبسة) من المطبخ السعودي، ووجبة الشوربة مع اللحم البقري من المطبخ المصري"

قاطعه (معاذ) وكأنما وجد ضالته:

"سنختار الأخيرة"

هز النادل رأسه متفهمًا ثم غادر، فهمست (سماح) لـ(معاذ) في تذمر طفولي:

"كنت أريد التبولة"

رد (معاذ) في صرامة:

"لا نعرف كيف تؤكل، سنبدو كالبلهاء إذا أحضرها لنا النادل، وسألناه عن طريقة أكلها"

صمتت (سماح) وراحت تراقب النادل، الذي أشار إلى نادل آخر بإحضار الطلب، وانشغل في جداله مع السيدة ذات الصوت الصارخ، وما هي إلا دقائق، وأحضر النادل الأخير الطلب واضعًا إياه أمامهما مبتسمًا في كياسة ثم غادر في هدوء.

بعدها انكب (معاذ) على طبق اللحم في نهم شديد، وقد كان لم يذق الزاد منذ أن وصلت طائرتهما هذا الصباح، وقد لاق الطعام استحسانه إلى حد كبير، في حين اشمأزت زوجته من الأكل، بعدما تذكرت حديث زوجها عن لحوم القطط، وآثرت طبق (الشوربة) تسد به رمقها.

خمس دقائق، وفوجئا بالنادل يهرول نحوهما مسرعًا قائلًا في كياسة:

"أوه.. معذرة يا سيدتي، هذا الطبق وصل إليكِ عن طريق الخطأ، أنه يخص الطاولة المجاورة، أعتذر بشدة"

هتفت (سماح) في قلق:

"ماذا كان هذا الطبق؟! "

رد (النادل) في لامبالاة:

"طعام أكيد، شوربة على لحوم (الأجنة)، ولكن تأكدِ أن اللحم منظف بشكل جيد، ومتبل بأفضل التوابل الصينية، أما اللحم الذي في طبق السيد، فهو لحم بقري بناء على طلبكما السابق"

سأله (معاذ) في استفهام وهو يشير إلى المرأة ذات الصوت الصارخ:

"أتقصد أن المرأة....."

قاطعه (النادل) قائلًا في برود:

- والدة أحد الأجنة، تصور يا سيدي أننا اشترينا جنينها المجهض البارحة بألف (يوان) كاملة، وآتيه اليوم لتقول أننا نصبنا عليها في السعر، لا أدري ما أصاب البشر هذه الأيام"

توجه (معاذ) بنظره إلى (سماح) مبتسمًا ابتسامة شاحبة، هنا لم تستطع المسكينة التحمل أكثر وبدأت في التقيؤ.

***

(35) الطفلة

"بابا سأموت"

قالتها الطفلة ذات السبع سنوات، والشعر الأشقر في لون سنابل القمح، والعينان الزرقاوتان في لون المحيط الهادئ، لوالدها في براءة طفولية، أثناء وجودهما في تلك العيادة الفخمة المخصصة للجراحة، فنظر إليها والدها في إشفاق، ثم ربت على كتفها قائلًا في مواساة وهو ينظر صوب عينيها:

"إنها حقنة صغيرة، وبعدها ستغادرين"

كان الأب قد قصد تلك العيادة لإجراء عملية استئصال (اللوزتين) لابنته الصغيرة، بعد أن عانت التهابهما لمدة طويلة، وسببت لها مشاكل صحية عديدة، فردت عليه الابنة قائلة بصوت باكٍ:

"لا أريد حقنة، أنا أخاف من الحقن"

عندها خرج الطبيب من الداخل محضرًا معه حقنة المخدر، غرسها في وريدها بعد أن قام والدها بالإمساك بالطفلة لمنعها من إيذاء نفسها، وسرعان ما غرقت الطفلة في ثبات عميق.

أشار إليه الأب بعدها أن يبدأ، فوضعها الطبيب غافية على سرير مزود بعجلات مصطحبًا إياها إلى الداخل، واستغرق أكثر من ساعة في الجراحة، قتل فيها الأب التوتر والقلق، قبل أن يخرج قائلًا في أسف شديد:

"البقاء لله"

اشتعل وجه الأب بالغضب، وهم بتحطيم العيادة رأسًا على عقب، ولكن سرعان ما تحول غضبه لدهشة ممزوجة بالخوف والرعب: عندما وجد طيف ابنته واقفًا عند باب غرفة الجراحة، وقد عقدت زراعيها قائلة في تذمر ولوم:

"ألم أقل لك يا بابا.. سأموت"

(36) الوليد

"هذا الطفل ليس طفلي"

قالها الزوج في هياج شديد لزوجته، التي كانت قد وضعت طفلها للتو، فعقدت الزوجة حاجبيها، بعد أن تسببت عبارة زوجها في ارتباكها، وهتفت مستنكرة:

"هل تتهمني بعد كل هذا العمر بالخيانة؟!"

شعر الزوج بالتخبط والحيرة، فغمغم في خفوت:

"ولكن!"

قاطعته زوجته في تأنيب:

"أنت متأكد جيدًا من إخلاصي لك، وطوال أعوام زواجنا كنت متفانية جدًا معك، وحرصت على حفظ شرفك وسمعتك التي ائتمنتني عليها، ولكن القدر أراد أن يخرج ابننا غريبًا مشوهًا، هل نلقيه في الطرقات لمجرد أنه ولد مختلفًا؟!، إن مئات الأزواج يتمنون ظفر طفل مثل هذا، ويطوفون على الأطباء مستخدمين كافة السبل والوسائل، وأقرب مثال على هذا أخوك وزوجته، اللذان يطوفان على المتخصصين منذ أكثر من سبعة أعوام كاملة بقصد الإنجاب وكللت جميع محاولاتهما بالفشل، أنحمد الله على ما رزقنا إياه إذن، أم نجزع ونكون من القانطين".

أجاب الزوج في حيرة وهو يتمعن في وجه الطفل الرضيع محاولًا إيجاد وجه تشابه معه:

"ولكن من المستحيل أن يكون هذا طفلي!"

صاحت به زوجته في استنكار:

"لماذا؟! "

تطلع الزوج مليًا نحو الطفل الغريب الشكل ذي الفم المخروطي والمكسو بالفراء، الذي حملته الأم بين راحتيها وداعبته فبدا بالعواء وأجاب في حيرة:

"لأننا نحن الاثنان مصاصو دماء يا عزيزتي، فكيف ننجب مستذئب!"

***

(37) المتجر العجيب

كان (مراد) مهمومًا في ذلك اليوم، بعد مشاجرة معتادة له مع زوجته المتغطرسة نعتته فيها بـ(المتخلف)، خرج على إثرها غاضبًا طائفًا في الشوارع من غير هدى، حتى أوصلته قدماه إلى ذلك المتجر الغريب الشكل.

كان لأول مرة يراه، بالرغم من أنه قد مر وطاف في هذا الشارع كثيرًا نظرًا لقربه من مكان عمله، دخله في محاولة لتسلية نفسه وإضاعة الوقت، وفي الداخل استقبله صاحب المتجر باسمًا قائلًا في كياسة:

"مرحبًا بك يا سيدي"

هز (مراد) رأسه محييًا إياه في صمت، وراح يراقب محتويات ذلك المتجر العجيب التي كان من بينها، لوح مرآة يظهر فيه شكلك في عمر الخمسة أعوام، وهيكل عظمي خالي من اللحم بتاتًا إلا في مكان الصدر الذي كان بداخله قلبًا مازال ينبض، وقزمًا حيًا في حجم عقلة الأصبع موضوعًا داخل قفص زجاجي يشبه حوض الأسماك.

سأله (مراد) في انبهار:

"كم ثمن هذه الأشياء؟! "

أجاب (العجوز) صاحب المتجر، مبتسمًا في غموض:

"دائمًا زوار المتجر يقعون في نفس الخطأ، ودائمًا أردد عليهم نفس الإجابة، محتويات هذا المتجر للإهداء وليس للبيع، لك الحق في هدية مميزة يختارها صاحب المتجر، وكالعادة الهدية ستغير حياتك بالكامل دون أدنى شك"

عقد (مراد) حاجبيه مستنكرًا، فلاحظ العجوز ذلك، فأردف وقد فهم ما يدور في عقل الشاب:

"هذه هي القواعد يا بني، لك الحق في أن تقبل أو ترفض"

تردد (مراد) في الإجابة، فأضاف العجوز في هدوء:

"قبل أن تجيب يا بني، ينبغي أن أذكرك أن الهدية التي سأحضرها لك لا يمكن استبدالها بأخرى، هل تقبل ذلك الشرط؟ "

زفر (مراد) مستسلمًا، ثم أجاب في رضا:

"أقبل"

أشرق وجه العجوز عند سماع إجابته، ثم ابتسم في حبور، ودلف إلى داخل المخزن غائبًا فيه لدقائق، ليخرج من الداخل ومعه جهاز تلفاز صغير يبدو عليه القدم، ذي هيكل شديد السواد، وضعه على طاولة في منتصف المتجر وبعدها قال:

"ها هي هديتك يا بني، هدية مختلفة وغير موجودة إلا داخل متجرنا، هذا التلفاز هو تلفاز الحقيقة، يريك الأشياء التي أنت عاجزًا عن إدراكها في الواقع، وتأكد أنه بعد استخدامك لهذا التلفاز، حياتك ستتغير مائة بالمائة"

سأله (مراد) في لهفة:

"هل يمكنني تجربته الآن؟! "

"بالتأكيد"

قالها العجوز في هدوء، وشرع في توصيل (الكابل) الخاص بالجهاز إلى مصدر الكهرباء، ليضغط بعدها زرً في منتصف الشاشة مشغلًا إياه، ثم أردف في هدوء:

"الآن يا بني، يمكنك مشاهدة الحقيقة الكاملة"

تطلع (مراد) إلى التلفاز، وبدت على وجهه آثار الصدمة واضحة، وقد كان الجهاز ينقل له بثا مباشرا لم يخطر في ذهنه إطلاقًا قبل هذا اليوم، يحوي مشهدًا لغرفة نومه داخل شقته، تظهر فيه زوجته راقدة على السرير بصحبة صديقه الوحيد في وضع حميمي للغاية".

***

(38) المحادثة

تطلع مدير دار النشر الشهيرة إلى وجه (طارق خيري) الكاتب الشاب، ثم قال في أسف:

"للأسف يا طارق، جميع أعمالك التي قدمتها إلينا لا ترقى إلى مستوي الجودة، لذا فنحن نعتذر إليك عن نشرها"

ابتلع (طارق) ريقه، وسأله في حيرة ممزوجة بالقلق:

"هل لي أن أعرف السبب يا سيدي؟! "

رد عليه (مدير الدار) قائلًا:

"أنت غير جيد في كتابة الأدب الساخر يا (طارق)، وهذا النوع من الأدب بالذات لا يمكن الاحتيال فيه على القارئ، لأنه ما دام سيقرأ قصصك فلابد أن يضحك ويقهقه حتى يحمر وجهه ويختنق، وإلا كنت قد قمت بخداعه، وللأسف هذا غير موجود في قصصك، والتي هي مع الاعتذار للفظ (ثقيلة الظل)، وغير مسلية بالمرة.

شعر (طارق) بعد كلام (المدير) بصفعة في مشواره الأدبي برمته، فقال محاولًا تصحيح موقفه:

"ولكن الأدب الساخر يا سيدي لا يخضع للتقييم الفردي، ما لا يضحكك قد يضحك غيرك"

أجابه (مدير الدار) موضحًا:

"عرضتها على عينة عشوائية من القراء يا طارق، وكلهم أجمعوا أنها سخيفة، بل وهناك واحد منهم أصابه الاكتئاب جراء قراءة قصة من قصصك"

سأله (طارق) في ارتباك:

"وما الحل يا أستاذي؟!"

أجابه (مدير الدار):

"ترجع إلى سابق عهدك في كتابة قصص الرعب، أنت ممتاز جدًا في هذا المجال، وتستطيع فيه إثبات نفسك"

رد عليه (طارق) في حسرة:

"ولكن ذلك غير ممكن حاليًا!"

هتف به (المدير) في دهشة:

"لماذا؟!. . كل الكتاب الشباب يهوون كتابة أدب الرعب؟! "

أجابه (طارق) في خوف، وهو يتطلع إلى خمسة كيانات بدأت في التجسد خلف مكتب المدير معترضًا:

"ولكن يا سيدي، كل القصص التي يكتبونها هؤلاء الكتاب، لا تدب الحياة في أبطالها في الواقع مثلما يحدث معي".

***

(39) الاتفاق

"هذا مستحيل، ومخالف لكل القواعد الطبية".

نطق بها الطبيب، وهو يقلب كفيه في حيرة ناقلًا النظر ما بين الطفلة (سارة) الراقدة على سرير الكشف داخل عيادته، وجهاز (السونار) الذي أمامه، فتطلع الأب إليه هامسًا في قلق:

"إذن ظنوني صحيحة!"

هز الطبيب رأسه في أسف ثم أجاب:

"نعم، الطفلة حامل.. هناك جنين مشوه يتكون الآن داخل أحشائها، ولكن السؤال هو كيف؟!، من المستحيل لطفلة في سن الخامسة أن تحبل!"

لم يهتم الأب بسؤاله، وهتف به في حيرة، وهو يتطلع إلى بطن ابنته العاري الذي انتفخ فبدا مظهره غريبًا:

"هل هناك حل؟!"

"بالطبع.. لابد من إجراء عملية قيصرية لإخراج الجنين قبل أن يكتمل، وإن كنت أشك في اكتماله!"

قال الأب في لهفة:

"إذن فلنجريها حالًا"

رد عليه الطبيب في إشفاق:

"للأسف طبيب التخدير غير موجود الآن، لذا سوف نجري العملية غدًا في تمام الثامنة مساءً".

ابتسم الأب في امتعاض، ثم شكر الطبيب وانصرف، متوجهًا نحو منزله، واضعًا الطفلة في سريرها بعد أن كانت قد غفت في الطريق، ثم

جلس على مقعد بجوارها شاردًا، وآلاف الأفكار تتصارع داخل عقله، قاطع شروده صوت الطفلة فنظر إليها، كانت تشير إلى بطنها قائلة وقد بدا على وجهها أمارات الألم:

"بابا.. وجع!"

راح الأب يربت عليها، في حين طفقت الطفلة في البكاء متوجعة:

"بابا.. (سارة).. وجع!"

تطلع إليها الأب في قلق، ثم هب واقفًا تمهيدًا لطلب الطبيب بسرعة، فاستوقفه منظر بطن ابنته المنتفخة، التي بدأت في الانشقاق من الداخل، ليخرج منها كائن ذو ذيل مشقوق، أسود اللون، وعينان لونها كالدم، وجسد في حجم راحة اليد، الذي نظر له وقال بصوت خشن لا يتناسب مع جسده:

- مفاجأة.. أليس كذلك!

تراجع الأب للوراء هاتفًا في ذعر:

"أنت!"

ضحك المخلوق بصوت عالٍ، كضبع يوشك على التهام جيفته:

"ومن غيره، كنت تظن أن الاتفاق الذي كان بيننا منذ عشرة أعوام قد انقضى أليس كذلك؟!. كنت حينها بائسًا تعسًا ترغب في حل لجميع مشاكلك، ولهذا قمت باستحضاري حينها، وهبتك المال والهيبة والنفوذ، واشترطت عليك مقابلا للهبة بعد أن وقعنا عهدًا بالدم بذلك، الآن آن الأوان تنفيذ الاتفاق".

سرت رعشة باردة في جسد الأب وهو يقول:

"ولكن ما ذنب الطفلة، وما فائدتها بالنسبة إليك؟!"

ابتسم المخلوق ابتسامة قميئة وهو يزيل عن جسده بقايا دماء الطفلة الملتصقة به، ثم قال وهو يشير إليها:

"لا فائدة، إنها فانية تعسة، كل ذنبها أن أباها كان جشعًا طماعًا، أنت كنت مدينا لي، لهذا كان لابد من فعل أي شيء في المقابل؛ لأني لا أحب الديون المعلقة".

صاح الأب في لوعة:

"أنت وعدتني أنك ستسلبني الأشياء التي وهبتني إياها فقط"

ضحك المخلوق بصوت عالٍ، وقال في لهجة خبيثة: "وكذبت".

ثم أردف بصوت بدا وكأنه قادم من قلب الجحيم:

"من قال أن الشياطين لا يكذبون أحيانًا؟!"

***

تغريد حسونة..

(40) ملائكة وشياطين

تحت ستار عتم مسدول تسكن المدن يلبس الليل ساكنها ليبدأ بشر من نوع آخر أعمالهم في مختلف الميادين منها الصالح، ومنها من لطخت يداه في وحل رذيلتها. تختلف النفس البشرية من شخص لشخص، الحرة الشريفة أو الأسيرة الذليلة أوقعها الفقر ضحية، الحاجة هي المتهم الرئيسي في أغلب الحالات ولكنها ليس المتهم الوحيد فبجانب الفقر كانت الرغبة العارمة في الثراء السريع بأي وسيلة. فتقع الضحية فريسة لهذه الرغبة وتسقط في بحر الرذيلة لتغرف من المال الحرام بلا حساب ولا ترتوي. كنت فتاة في العشرين من عمري، ضحية أب سكير وأم دخلت السجن بتهمة الاتجار بالمخدرات، كانت تعتقد أن الربح الوفير سيعود علينا ولكن أتت الرياح بما لا تشتهي السفن، ضاق بي العيش بعدها، فلا أب أعتمد عليه ولا أقارب يعترفون بِنَا، انقطعت عن إكمال دراستي في المعهد وكان علي البحث عن عمل.

عملت نادلة في مقهى ليلي فقد حباني الله بمقدار وافر من الجمال والحضور وهذه مميزات تمكنني من العمل في هذا المجال بكل سهولة، بعد التدريب تمكنت من إرضاء مدرائي وخلال فترة وجيزة أصبحت السلعة بعد أن كنت من يقدم السلعة، فقد كان الإغراء المادي كبير جدا، حاولت كثيرا المقاومة ولكن كنت أنا الخير على أرض الشر والملاك في حديقة الشيطان، وها أنا منذ ثلاثين عاما أجلس على منضدتي كل ليلة أسقط بجرعة زائدة من المخدرات ميتة.

***

(41) جاني ومجني عليه

قد لا تكون النهاية صوتا خافتا يهتف باسمك أو ضوءا في آخر الطريق، ولكن بصرخة مدوية تخرج من أعماق أحدهم. طفل مشاكس ومتمرد، لم تهبني الطبيعة الجمال ولم أكن طفلا محبوبا، هذا ما ولد بداخلي غضب جامح ترك آثاره على سلوكي، أحب العزلة ودائم التسلط، حتى أمي كنت أشعر بحسرة في قلبها على ما وهبته الطبيعة لها من مسخ، كانت دائمة التوبيخ لي وتتفنن بعقابي الجسدي محولة مسخي من خارجي إلى مسخ داخلي.

نعم أكرهها وأكره العالم بأسره، لماذا يصب كل هذا الغضب على طفل كل ذنبه أن أمه تكره والده فرض عليها مجتمعها الزواج من ابن عم لا تحبه؟ ارتفع صوت شجارهما يوما ليخرج أبي من المنزل بعد جولات كر وفر في حوار كان الغلبة فيه لأبي مما جعل من أمي قنبلة موقوتة لأزيد أنا من غضبها سقوط إناء ورثته عن جدتها بسبب اصطدام كرتي به، نهضت وفي نيتها صب جم غضبها الباقي في داخلها بعد الشجار مع أبي علي، نظرت إليها بغضب يوازي غضبها، لقد كان حادث سقوط إناء جدتها عن غير قصد مني، شعرت بحمى غضبها تخرج من عينيها، وبشهقة عميقة منها بدأت بالتنفيس عن غضبها تارة بضربي وتارة بركلي، وكأني صِمَام أمان تعبر فيه عن غضبها الذي كان سببا لنهاية حياتي، وها هي فقدت طفلها الوحيد وعقلها، جالسة أمامي مقيدة على سرير أبيض هادئة تارة وتارة فاقدة صوابها كلما أعدت كسر إناء جدتها من جديد أمامها.

***

(42) زوجي ولكن

جلس أمامي في ظلام بعد أن اشتد سواد الليل أنا وهو وحدنا، بدا منهارا حزينا ونادما مستندا بمرفقيه على ركبتيه يخفي وجهه خجلا لا ينطق ببنت شفه وكأنه ينتظر لحظة عتاب أو صك غفران مني. ساد المكان صمتا غريبا وكأنها ديمومة سكون، بادرته أنا؛ بأني لم أنساه ولن أنساه فأنا كزهرة وهو عبيرها انتشر بالأرجاء بعد أن خَص نفسه بأريج طيار كنت أنا من صنعه، رضيت بالقليل من الاهتمام وعانيت الحرمان، فالزهر لا يطلب ماء من راعيه حتى لو ذبل وفارقه عطره بعد أن يجف عطشا، كنت على يقين بأنك عطر يتبخر بالهواء لينعم برائحته غيري، رضيت بك زوجا لا تملك إلا شبابك وكنت أنا كنزك الذي كان مصدرا لثروتك، وهبتك عمرا ودعما لتصل لمجد تفخر به، رددت لي المعروف غدرا وبادلتني الترياق سما، معذور أنت وأنا هو المغدور، أحببت من هي أصغر مني سنا وأنا الأكبر عمرا، وكأنه كتب على الرجل فيكم عمران، عمر يحيى به ويكافح لترضى من معه بمرار الأيام لتتذوق حلاوة أيامه في عمره الثاني الأخرى، طعنتك يا سيدي لم تترك من جسدي شبرًا إلا ونزف من شدة الألم، وقع زواجك بأخرى على مسامعي كصرخة وقفت أمامها عاجزة مغدورة، شعرت بسكراتها خدر أطرافي أصبحت عاجزة عن النطق بكلمة لماذا، سكنتنِ الصرخة نزعت مني الصوت، ما زلت مطأطأ الرأس!! ما نفع دمعك الآن وقد كان ما قد كان، شعرت بيد باردة تربت على كتفي وصوت خافت يقول: لا تروي لحظات موتك للأحياء لن يفهموك.

هنا لا أحد يسمعك سوى الأموات

***

(43) ذكرى مولد

كما كل يوم على حافة الصباح، أحتسي قهوتي الصباحية على أنغام فيروزية ففي أنغامها يتبعثر كل صعاب الأمس لأضمم أمال اليوم وأحي أحلام الغد. ولما لا فاليوم له خصوصية في حياتي، هو ذكرى أول شروق لي على هذه الأرض، يوم ميلادي وقد أعدت نفسي لهذا اليوم، فقد اعتاد زملائي في العمل الاحتفال بيوم ميلاد أي زميل خلال استراحة الغداء، واليوم أنا نجمتهم. كان علي الخروج باكرا لأن تحية جيراني الصباحية وعم (فتحي) البواب سيضاف لها أمنيات السعادة ودوام الصحة والسرور بهذا اليوم المهم. عجبت لجارتي (سمية)، لم تنطق ببنت شفه ولا حتى بشكوى واحدة عن زوجها المتذمر، ولا حتى كلمة (كم أنت محظوظة) لأني كنت أذكى من أن أقع في شباك الزواج، حتى عم (فتحى) لم يفتح لي باب المبنى وبقي جالسا على مقعده، لعله منشغل التفكير كعادته في حساب مصاريف زوجته وأولاده في القرية، وكأن دوامة الحياة أغرقت من فيها وثقل عليهم حمل أعبائها وتركتهم في فلك متاعبها يسبحون. كان صباحا غريبا أشعة الشمس الصباحية لم تحرق عيناي، ولا حتى نسمة هواء حركت أي خصلة من شعري كيوم برد منكسر خاطر فيه الورد في فصل شتاء وثلج ضاعت به ملامح الحديقة، ما بان للورد لون، وبهتت بهجتهِ في دقيقة. وصلت سيرًا على الأقدام لوجهتي، لمكان أعشقه، فيه أَجِد ضالتي وأنسى وحدتي وأفخر بإنجازاتي، وهل يُعشق المكان؟ يُعشق المكان كما يُعشق الإنسان، فهو مقري منذ عشر سنين ولي في كل ركن من أرجائه إنجاز. قصدت دورة المياه قبل صعودي لمكتبي، لأنعش مظهري وأحمر شفاهي كأي أنثى تحرص على مظهرها. وقفت أمام المرآة وكأني في ظلام سرمدي ماثل أمامي حطم كل الصور وبدد كل أحلامي. سمعت صوت أمي عميق وهي التي تبعد عني آلاف الكيلومترات تبكي، أرى وجوه شاحبة باكية، أين أنا؟ دققت النظر في المرآة أمامي لعلي أهذي، ولكن انعكاس المرأة لم يظهر أي شخص في المكان، ولا حتى لي.

***

(44) بشر مختلفون ومتخفون

تحت وهج أشعة الشمس في وسط صحراء قاحلة إلا من طريق بري يندر أن يمر به عابر سبيل أو مسافر، تقع محطة وقود بجوار مطعم بسيط كأي استراحة تقع على الطرق الخارجية. الغريب أن الطريق كله في اتجاه واحد، الشمس وظلال الأشياء جامدة حولها لا تتحرك وكأن الشمس ثابتة في مكانها حتى عقارب الساعة العملاقة كأنها تعلن عن زوال الكون وانتهاء الوقت فهي في ثبات غريب، وجوه لا ابتسامة فيها تعج بالمكان، غرباء لا يتحدث شخص مع آخر، ملابس رثه شعر أشعث تحت هامات محنية. أعرف هذا المكان ولكن أشعر أني غريب عنه، لا حنين يربطني ولا كره ينفرني، سلام داخلي غريب أشعر به وكأني وليد لم يمض على ولادتي دقائق، ترى كم مضى علي من الوقت في هذا المكان الغريب ولما أنا هنا وما سبب ارتدائي لملابس بالية؟ لم يطل الوقت بي حتى لمحت عربة آتية من الطريق السريع لتتزود بالوقود ولكنها لم تطل الانتظار وانطلقت مسرعة عائدة إلى الطريق السريع مرة أخرى، وما أن غابت عن أنظاري حتى لمحت دخانا يتصاعد من الأفق بنفس الاتجاه بعد أن دوى صوت انفجار وكأني أنا الوحيد من سمعه، فلم يلتفت أحد له. شحت بوجهي لعامل المحطة لأسأله عن سبب انطلاق العربة مسرعة دون أن يزودها بالوقود وعن سبب الانفجار وأين نحن؟ التفت إلى وكان وجهه كجمجمة لا يكسوها إلا الجلد، وقال: هم بشر أحياء مختلفون ونحن بشر أموات متخفون.

***

(45) الذواقة

عندما نعزف على أوتار الوحدة ونغمات الانعزال تتكون لنا سيمفونية عجيبة تطرب بها الآذان وترقص عليها الحواس هدوء فيه غذاء للروح تنفض عن العقل غبار جمعتها عواصف البشر سلام داخلي يعطيك إحساسا أن سلاما اجتاح العالم أنت مصدره، لا هيروشيما ولا حروب أو مدافع، قلوب بيضاء خالية من الحقد والحسد. كان قرارا صائبا اعتزالي المدينة ولجوئي لصومعتي الخشبية على قمة جبل بين أحراش الصنوبر فرائحة الشجر ورسوخ الحجر وظلال تتناوب بين ضوء شمس وقمر ما هي إلا وصفة لترياق يداعب خيالي ويثير شهوة القلم ليخوض حبره عباب الورق، لكل كاتب طقوس في محراب إبداعه، وأنا ككاتبة كل ما حولي يستفزني للكتابة مذياع وهاتف بقرص دوار لا تشوش ولا رادار، طقطقة أرضية الكوخ تؤكد أنه لا أحد سواي أنا وصديقي الصدوق كلبي. كنت قد انتهيت من كتابة المقدمة لروايتي الجديدة عندما دقت ساعة بج بن في صوت المذياع معلنة عن تمام الساعة التاسعة مساءً وهو موعد النشرة الإخبارية، شرعت بإعداد كوب ساخن من الأعشاب الجبلية التي اعتادت جدتي تقديمه لنا خلال إقامتنا في منزلها الجبلي في العطل المدرسية، توالت الأخبار العالمية والدولية على لسان المذيع من خلال المذياع في فقرات متفرقة تخللها إعلانات تجارية مملة التي قطعها صوت المذيع في نبرة تحذيرية قائلاً: وردنا الآن، هروب قاتل متسلسل خلال نقله من السجن لموقع تمت فيه جرائمه ليعيد تمثيلها أمام المحققين، وهو الآن حر طليق في منطقة الجبل وقد تم محاصرة الجبل بقوى الأمن للتمكن من القبض عليه، ولهذا تهيب وحدات الأمن بالقاطنين في منطقة الجبل الالتزام بمساكنهم وإحكام إغلاق الأبواب والنوافذ، نتمنى للجميع الأمن والسلامة، انتهى الخبر العاجل، ومع

أخر حرف نطقه المذيع شعرت أن أخر قطرة من دمي قد جفت في عروقي، أدرت مفتاح تشغيل المذياع لأطفئه وأعلن نهاية سهرتي الجبلية بتفقدي مداخل البيت الداخلية والخارجية وإحكام إغلاق النوافذ، تعمدت إغلاق المصابيح لأن الغريب لن يستطيع أن يرى طريقه في المنزل بدون التسبب بالاصطدام بالأثاث والسلالم، صعدت لغرفة نومي يرافقني كلبي فهو معتاد على النوم بجوار سريري، أعدت فراشه وجهزت سريري لأن النعاس بدأ يداعب جفوني وسلطة النوم أقوى من أي خوف، لا أعلم كم استغرقت في النوم قبل أن استيقظ على صوت طقطقة خفيفة لم يكن وقعها قوي علي فلا زلت تحت تأثير النوم بين مستيقظة ونائمة، مددت رجلي من تحت الغطاء ليلعق كلبي كفة رجلي مما أعطاني إشارة الأمان أن البيت لم يقتحمه شخص وأن كلبي في جواري وقد يكون هذا الصوت بسبب أن الأرض خشبية وللخشب أرواح تسكنها لأنها من شجر كان في يوم ما حي، عاود النوم يغلب جفوني إلى أن أقتحم على منامي صوت طقطقة أقوى من السابق، ولكن النوم سلطان كما يقال، حركت رجلي من فوق الغطاء مرة أخرى لتعلن لي لعقة على رجلي أن الأمن مستبقيا منزلي، الطقطقة الثالثة كانت أقوى من أي سلطان، نهضت من فراشي متتبعة صوت الطقطقة التي كان مصدرها الحمام، هالني ما رأيت على النافذة فكلبي معلق من رأسه، مشقوق من رقبته لنهاية بطنه، التفت على مرآة فوق المغسلة كتب عليها بدم الكلب: أحب لعق ضحيتي لتذوقها قبل أكلها.

***

(46) عتم وسكون

تحت ظلال العتم يهديني الليل جناحين أطوف بهما بين صحو ونوم على أطلال الذكريات وبصيص الأمل يصاحبها ضحكات فرح ودموع ألم، يغريني الليل للعزف على ناي جروحي ويطالبني هو وأصحابه من نجوم وقمر للوفاء بوعدي لهم لتجديد آهاتي فهم على أيامي شهود، أحداث أراها تحت هدوء جسدي بلا حراك وحدي وبعقلي وكأن الكون بأسره توقف عندي، ليقطع على هدوئي وعتمي نور لا أرى منه إلا وجهها كشمعة ينير دربي، اعتدت عليه يرافقني في فرحي وحزني أشتاق لرؤياه كما يشتاق موج البحر عناق الرمال والصخور، فهي كالبحر شربت من ملحها وسكنت رملها، أمي يا من بنبضات قلبها أشعر بالأمان، أرقّ الألحان وأعذب الأنغام لا يعزفها إلا قلبها، أن صغر العالم لا يكبر إلا بها.

نظرت إلي بوجه ذابل حزين وأطالت النظر ثم طبعت قبلة على جبيني فشعرت كمن ردت له روحه، كاد البرد يحرق أطرافي لم أشعر بدفء إلا بعد أن لمستها يديها، دثرتني بطرف غطائي وزممتني وأي غطاء يقيني البرد كما كانت أحضانك، وبغطاء رأسها وسدتني وبتنهيدة همست لي:

أنت الحي وأنا الميتة يا ولدي، أنا في أرض الفناء والشقاء، أنت شمعة وأنا من بنورك أهتدي على درب الحرية بك أقتدي، أنت شمس حينما عم الظلام، مثلك بنجمه نهتدي، سباقا للخير وكريما ابن كريم حتى بدمك بذلته للحاق بوالدك شهيدا يا ولدي.

***

طارق خيري..

PS4 (47)

من هنا يا أبي! هتف (عمر) بكل حماس وهو يرشد والده عبر المول الخاص ببائعي أجهزة ألعاب الفيديو، وتبعه أباه وهو يشعر بالقلق من ارتفاع أسعار الأجهزة حتى وصل إلى أحد المحلات تعلوه لافتة مكتوب عليها (الجحيم للألعاب - نحطم الأسعار تحطيماً)، فقام بالدخول مع (عمر) ليجد أمامه رجلا أشيب الشعر ما أن رآهم حتى اقترب منهم في هدوء وهو يبتسم بخبث وقال:

- مرحبا بكم في الجحيم، أعلم أن الاسم قد يكون منفر ولكن بالنسبة لمحبي الألعاب فهو معتاد ومحبب إليهم وربت على ظهر (عمر) ثم أشار إلى ركن يحوي مجموعة متنوعة من أجهزة الألعاب تعمل وقال:

- لما لا تجرب ما يحلو لك من الألعاب.

وعلى الفور قام (عمر) بالجلوس أمام جهاز بلايستيشن4 وقام بتشغيل لعبة كرة القدم فالتفت الرجل الأشيب إلى الأب وأمسك بذراعه ليقتاده ناحية مكتب صغير في ركن المكان وهو يقول:

لما لا نتناول مشروبا منعشا ولنترك الصغير يمرح قليلا.

راقبهم (عمر) وهما يبتعدان ثم التفت إلى الشاشة ليقوم باختيار فريقه المفضل وعندما حاول اختيار الفريق المنافس لم يجد سوى فريق واحد متاح يسمى الجحيم فقام باختياره لتبدأ المباراة وقام (عمر) بالضغط على زر X لتبدأ المباراة وبعد عدة نقلات للكرة اقترب من منطقة الجزاء قبل أن يسدد قام مدافع فريق الجحيم بعرقلة مهاجم فريقه ليطيح به ويسقط اللاعب على الأرض واتسعت عينا (عمر) في اندهاش عندما رأي مهاجمه يتلوى من الألم ويمسك بقدمه الدامية..

وقام فريق الجحيم بهجمة مرتدة انتهت بتسديد الكرة في اتجاه المرمى بقوة شديدة لتصيب الحارس في وجهه وتدخل المرمى في حين تطايرت الدماء من وجه الحارس ليسقط على الأرض.

حاول (عمر) النهوض وترك اللعبة ليذهب إلى والده إلا أنه شعر بأن هناك قوة خفيه تسيطر عليه ليكمل المباراة فجلس (عمر) ليضغط على زر X ليبدأ اللعب..

ومرة أخرى يقوم فريق الجحيم بإصابة عدة لاعبين لتسيل دماؤهم بغزارة على أرض الملعب ثم يقوم فريق الجحيم بتسجيل هدف آخر، وهنا اقتربت الكاميرا من كابتن الفريق ليملئ وجهه الشاشة تماما وظل يحدق في عيني (عمر) الذي لم يقو على الحراك ثم فجأة مد اللاعب يده لتعبر الشاشة وتقبض على رقبة (عمر) الذي حاول الصراخ واليد تجذبه عبر الشاشة ولكن القبضة كانت محكمة حول رقبته..

غامت الدنيا أمام عينيه تماما ولكنه في محاولة يائسة أخيرة قام بركل الكرسي الذي كان يجلس عليه لعل والده ينتبه قبل أن يغوص داخل الشاشة تماما.

سمع الوالد جلبة فنهض ليرى الكرسي مقلوبا على الأرض و(عمر) غير موجود فتلفت حوله وتحرك داخل المكان ولم يجده فنادى عليه بأعلى صوته ثم أمسك الرجل الأشيب من ملابسه وهو يصرخ أين ابني.. أين (عمر) ثم أسرع إلى خارج المكان فنظر الرجل الأشيب إلى الشاشة ليشاهد الفريق وقد أحاط بعمر الذي كان ملقيا على أرض الملعب فاقد الوعي.

وعاد الأب بعد قليل مع أحد أفراد الأمن والذي كان يقول أثناء سيرهم:

سيدي لا يوجد أي متجر يحمل اسم الجحيم هنا.. وما أن وصلوا إلى مكان المتجر فوجئ الأب بوجود جدار مصمت بدلا من باب المتجر.

(48) ساعة مع عيشه

اسمي هو (أمجد السعيد).. صحفي وباحث في الماورائيات. سأحكي لك قصتي..

بدأت القصة عندما قرأت خبر في إحدى الصحف:

"فوجئ متابعو قناة (عالم الفن) بإعلان عن برنامج توك شو باسم (ساعة مع عيشه) ظهرت فيه المذيعة الفاتنة لأول مرة على شاشة الفضائيات وهي تستضيف نجم الغناء الشاب (سيد الليثي) لتحاوره وقد بدا النجم مفتونا بها وهو يجيب على أسئلتها ومرت الساعة لتبتسم المذيعة الفاتنة لتعلن انتهاء الحلقة على أن تعود بعد أسبوع مع نجم جديد.

وبعد مرور يومين على المقابلة أثار خبر اكتشاف جثة المطرب (سيد الليثي) ممزقه في منزله ضجة في جميع الأوساط ولم تجد الشرطة أي آثار لاقتحام المنزل وقد صرح الطبيب الشرعي بأن سبب الوفاة هو هبوط حاد في الدورة الدموية نتيجة نزيف شديد من جرح في الرقبة، ولكن ما أثار دهشة الجميع هو وجود آثار أقدام ماعز داخل الشقة!.

وتوالت الجرائم..

ممثل مشهور، ومذيع لامع، وكاتب معروف، ومسئول حكومي بارز.

والغريب أنهم جميعا كانوا ضيوف في برنامج (ساعة مع عيشه)، وتم قتلهم بعد يومين من المقابلة، والأغرب وجود آثار أقدام ماعز في مسرح الجريمة وقد قامت الشرطة بالتحقيق مع المذيعة ولكن لم يكن هناك ما يمكن أن يوجه أصابع الاتهام إليها.

لفت انتباهي موضوع تواجد آثار أقدام الماعز في مسارح الجرائم فقمت ببعض الأبحاث حتى أثار انتباهي خبر في إحدى الصحف المغربية يقول:

"العثور على جثة عالم الآثار الفرنسي (جان كلود) ممزقة داخل خيمة بالقرب من سجن قارا وقد بدا كما لو أن العالم قد تعرض لهجوم ذئب حيث أن هناك أجزاء من جسده قد تم افتراسها.

والجدير بالذكر أن العالم كان قد صرح أنه يجري بحثا عن أحد الأساطير المغربية القديمة وقد قادته أبحاثه إلى سجن قارا الرهيب وقام بمعاونة بعض العمال بفتح ثغرة في جدار السجن مخالفا القوانين والتعليمات.

وقد لاحظ المحققون وجود آثار أقدام ماعز حول الخيمة وداخلها.. وهنا تذكرت إحدى شخصيات التراث الشعبي المغربي (عيشه قنديشه) الشيطانة الفاتنة التي تستدرج الرجال بجمالها لتقتلهم وتتغذى على لحومهم، قدميها مثل أقدام الماعز ولا تخاف إلا من النيران.

انتظرت الحلقة الجديدة للبرنامج وكان الضيف صحفيا مشهورا فقمت بمراقبة بيته بعد الحلقة لمدة يومين وقبل منتصف ليل اليوم الثاني رأيت (عيشه) تدلف إلى مدخل البناية فقمت بتصويرها وأسرعت خلفها قبل أن تستقل المصعد وأنا أهتف:

أستاذة عيشه.. أستاذه عيشه.. فتوقفت والتفتت ببطء لتنظر إلي نظرة جمدت الدم في عروقي..

-أنا (أمجد السعيد).. صحفي، لقد رأيتك بالصدفة تدخلين هذه البناية فلم أصدق أنني محظوظ لهذه الدرجة! هل تقبلين أن أجري معك حوارا صحفيا؟

نظرت لي نظرة جمدت الدم في عروقي ثم تحركت يدها بسرعة لتلطمني لطمة شديدة على وجهي افقدتني الوعي تماما.

لا أعلم كم مر من الوقت وعندما أفقت وجدت نفسي ممدا على الأرض وبجواري جثة الصحفي المشهور و(عيشه) تجلس على الأرض

بجواره تتغذى على جثته، فكرت في الهرب إلا أنني كنت متأكدا أنها قادرة على اللحاق بي وقتلي، وهنا توقفت عن التهام الصحفي وقالت:

من الواضح أنك توصلت إلى حقيقتي، لقد كان الخوف واضحا في عينيك وأنت تكلمني، أنا (عيشه قنديشه) الشيطانة قاتلة الرجال، قام رجال السلطان إسماعيل بن الشريف بمطاردتي وحبسي في سجن قارا الرهيب الذي ليس له أبواب!، أعوام طويلة عشتها وأنا أتغذى على الفئران حتى قام أحد العلماء بإحداث ثغرة في أحد الحوائط للبحث عني، هربت من السجن وجئت إلى هنا وباستخدام سحري وفتنتي نجحت في الاستقرار والعمل كمذيعة، رائع هو مجال الإعلام، أعطاني الفرصة لاختيار فرائسي من ضعاف النفوس بسهولة.

ثم نهضت واقتربت مني لتلطمني لطمة أخرى غبت بسببها عن الوعي وعندما أفقت وجدت أفراد الشرطة تحاوطني من كل جانب.

وبالطبع لم يصدق ضابط التحقيقات ولا وكيل النيابة قصة الشيطانة القادمة من المغرب وقام وكيل النيابة بتحويلي لمستشفى الأمراض النفسية لتقييم حالتي قبل أن يتم محاكمتي بتهمة قتل الصحفي.

نظر الطبيب المعالج لـ (أمجد) نظرة طويلة ثم استدعى الممرض ليأخذ (أمجد) إلى العنبر وقام بالاتصال بوكيل النيابة ليخبره بأن المريض مصاب بـ"الفصام"...

ويحتاج إلى علاج طويل بالمستشفى ثم استرخى في مقعده وقام بتشغيل التلفاز ليشاهد الحلقة الجديدة من برنامج (ساعة مع عيشه).

***

(49) الدبدوب

حبيبي أنا عايزة دبدوب! قالتها (تاليا) بنعومة لخطيبها (أحمد) أثناء جلوسهما في أحد الكافيهات فنظر لها بغضب قائلاً:

وما العيب في الثلاثة دباديب السابقين؟

- خطيب ابنة خالتي اشترى لها واحدا بالحجم الطبيعي وأنا لست أقل منها!

أحلامك أوامر، سأشتري لكي دبدوبا أكبر من خطيب ابن خالتك نفسه!.

وفي اليوم التالي كان (أحمد) يعبر مدخل البناية التي تقطن بها (تاليا) وهو يحمل أكبر دبدوب استطاع إيجاده لدرجة أنه لم يستطع الدخول به لمصعد البناية وبالطبع لم يكن يستطيع أن يصعد به في سلم البناية الضيق سبعة أدوار، فقام بوضع الدبدوب داخل المصعد وضغط على زر الدور السابع والصعود بسرعة على السلم لأخذه من المصعد.

وصل (أحمد) للدور السابع وهو يلهث ليجد الدبدوب جالسا بجوار باب المصعد! فنظر له باندهاش إلا أنه نفض رأسه وتوقع أن أحد الجيران قد قام بإخراجه من المصعد ليتمكن من النزول، حمل أحمد الدبدوب وطرق باب شقة (تاليا) التي قابلته بسعادة كبيره بعد أن رأت حجم الدبدوب العملاق وطلبت منه وضعه بحجرة الصالون، ثم دعته ليتناول معها طعام الغداء.. وأثناء تناوله الغداء نظر إلى المرآة المقابلة فتهيأ له أنه يرى انعكاس صورة رأس الدبدوب تطل من باب الصالون الموارب فالتفت بسرعة فلم يجد سوى الباب فنهض أمام أعين أهل خطيبته المندهشة ليدخل الصالون فوجد الدبدوب كما وضعه تماما

فعاد إلى مائدة الطعام ليجلس والأعين مسلطة عليه فنظر إليهم ببطء وهو يقول:

- معذرة، لقد سقطت مني حافظة النقود بالداخل.

وبعد الغداء أحضرت له (تاليا) طبقا من الحلوى وأثناء تناولها سمعوا صوت ارتطام داخل حجرة الصالون فأسرعوا بالداخل ليجدوا أخ (تاليا) الصغير ممدد على الأرض فاقد الوعي فأسرع (أحمد) ليحمله خارج الحجرة وقامت (تاليا) برش بعض الماء المثلج على وجهه فأفاق فسألته ماذا حدث فأشار إلى حجرة الصالون وقال بصوت مرتجف:

لقد لطمني الدبدوب على وجهي.

بالطبع لم يصدق أحد الطفل وظنوا أنها مجرد حيلة لجذب الانتباه وما أن أطمأن (أحمد) أن الطفل بخير استأذن ليغادر إلى منزله.

استيقظ (أحمد) بعد منتصف الليل على رنين هاتفه المحمول فنظر لشاشته ليجد أن (تاليا) هي الطالب فقام بالرد ليسمع صوتها المرتعد وهي تصرخ:

يجب أن تحضر حالا.. حاااااالا ثم أغلقت المكالمة فأسرع أحمد إليها وما أن أصبح داخل شقتها حتى صرخت في وجهه:

- كيف تجرأ على هذه المزحة السخيفة؟! أتحضر لي رجلا في زي دبدوب كهدية! لقد استيقظت لأجد هذا الشيء الذي أحضرته جالسا بجواري على السرير ويده تعبث بشعري فحاولت الصراخ فقام بتكميم فمي وكتم أنفاسي حتى فقدت الوعي وعندما أفقت سمعت صوت باب

الشقة يغلق فأسرعت إلى الباب لأنظر من العين السحرية لأجد الدبدوب يمشي في اتجاه السلم وهو يمسك بشيء لامع في يده!.

أقسم لها أن ما اشتراه كان مجرد دمية مصنوعة من الفرو والقطن، ولابد أنها كانت تحلم فثارت ثورة عارمة وطردته من المنزل، فقام بضغط زر استدعاء المصعد وانتظر وهو شارد الذهن يفكر في كل ما حدث منذ أن اشترى الدبدوب، وعندما وصل المصعد مد يده ليجذب الباب ليجد نفسه وجها لوجه مع الدبدوب الذي ارتسمت على وجهه ابتسامه وهو يتقدم نحوه رافعا يده التي تحمل سكينا عملاقة.

***

(50) تواصل اجتماعي

اعتاد (شوقي) الدخول على موقع التواصل الاجتماعي Facebook بحسابات وهمية فيسب من يسب ويتحرش بمن يتحرش وفي إحدى المرات وجد تعليقا من حساب لفتاة اسمه (العفريتة العاشقة) وبالطبع قام بمضايقتها كما يفعل مع الجميع، ولكن هذه المرة بدلا من الحظر وجد أن العفريتة أرسلت إليه طلب إضافة كصديق، فقال لنفسه لم لا؟ فلنمرح قليلا.. ثم وافق على الإضافة وفور موافقته وجد أن (العفريتة العاشقة) ترغب في مكالمته مكالمة صوتية فوافق مرة أخرى ليقول بسخرية:

ألو.. العفريتة معايا!

ساد الصمت بضعة ثوان ثم سمع صوتا أقشعر له جسده يقول:

- كيف حالك يا (شوقي)، ألن تكف عن مضايقة الناس؟

فارتجف للحظات قبل أن يجيب:

من أنتِ؟ لابد أنك تعرفينني أو أن أحدا من أصدقائي هو الذي طلب منكِ أن تقومين بهذه المزحة معي.

ساد الصمت مدة أطول هذه المرة ثم أجاب الصوت:

- وهل هناك أحد من أصدقائك يعلم بهذا الحساب المزيف؟ ألم تقم بإنشائه منذ ساعة واحدة فقط! أتريد أن تعرف حقا من أنا؟

هنا فكر (شوقي) في إلغاء المحادثة وعمل حظر لهذا الحساب، فالصوت الذي يكلمه يثير في نفسه الرعب، ولكن غلبه الفضول فقال:

نعم، أرغب في أن أعرف من أنتِ حقا.

وعلى الفور وجد طلبا لتحويل المكالمة من مكالمة صوتية إلى مكالمة فيديو صوت وصورة فتردد قليلا ثم غلبه فضوله فضغط على "موافق" لتظهر صورة ضبابية لحجرة يجلس فيها رجل أمام جهاز كمبيوتر..

انتظر قليلا حتى وضحت الصورة فوجد الفيديو يعرض صورة حجرته وهو جالس بها وانبعث الصوت مره أخرى ليقول:

نعم هي حجرتك يا (شوقي) وأنا أشاركك بها منذ وقت طويل.. أتعلم لماذا؟ لأنني عاشقة لك يا (شوقي) والوسيلة الوحيدة التي تمكنني من التجسد لك هو أن تطلب أنت ذلك! وقد قلت أنك ترغب في معرفة من أنا.

وهنا رأي (شوقي) على الشاشة شيئا ما يتجسد بجانبه فالتفت ليرى أبشع وجه ممكن أن يتخيله بشر ينظر له بحب غامر!!

***

(51) مكياج

أخيرا وجدتها! ترددت الجملة في رأس الكاتب الشاب (حسني الجهيني) أثناء حضوره حفل توقيع روايته الجديدة عندما رأى إحدى الفتيات تقترب منه وهي تحمل كتابه لتطلب منه توقيعه ورقصت أذناه طربا عندما قالت له:

- تسمح تشرفني بإمضائك على نسختي من كتابك يا أستاذ (حسني)

الشرف ليا أنا يا أنسة.. اسم حضرتك أيه؟

هيام.

شعر بأن اسمها هو الوصف الدقيق لما يشعر به وتقافز قلبه حتى أوشك على الخروج من صدره وهو يسألها:

مرتبطة؟

فضحكت حتى أوشك قلبه على التوقف وهي ترفع يديها ليرى عدم وجود دبلة في أي من اليدين وابتسمت بدون أن تتكلم في حين ترددت كلمات في رأس الكاتب الشاب مرارا وتكرارا.. أخيرا وجدتها!

قبل مرور أسبوع كانت الزغاريد تتردد في أرجاء منزل (هيام)، وطوق (حسني) أصبعها بدبلة ذهبية محفورة عليها أسماؤهم وكان يجلس بجانبها في منتهى السعادة وتعجب كيف سقط في الحب من النظرة الأولى وانتهت حفلة الخطبة ليعود (حسني) إلى منزله وهو يطير من السعادة.

مرت الأيام والكاتب الشاب يعيش في سعادة بالغة لم ينغصها سوى إحساسه بأن خطيبته خالية من العيوب بشكل مبالغ فيه! دائما جميلة ومنتعشة ومشرقة كالشمس، لا تتعب ولا تغضب مهما يحدث.

أنيقة ومرحة وحنونة والعجيب أن وجهها لا يتأثر بأي مؤثرات حتى أنه عندما سقطت الأمطار فوق رأسهم لم تتأثر زينتها ولا شعرها.

كان يحاول أن يجد فيها أي عيب أو يستفزها لتغضب أو ليحدث بينهما خلافا إلا أنها كانت تحتوي أي موقف بهدوء شديد مما جعله يشعر أحيانا بأنها غير آدمية.

ومرت الأيام وجاء يوم العرس وبالطبع كانت العروس في كامل زينتها واحتفل العروسان طوال الليل ثم صعدا إلى حجرتهما في الفندق المقام به الحفل.. التقط (حسني) يد عروسته ونظر في عينيها وقال:

حبيبتي.. أريدك أن تزيلي كل هذا المكياج من على وجهك، فأنا يهمني مظهرك لا جوهرك!

فابتسمت وهي تقول: غريب أمركم يا رجال هذا الكوكب!!!، عندما تقابلون امرأة لا تضع زينة لا تعجبكم وعندما تقابلون امرأة في كامل زينتها ترغبون في رؤيتها من غير زينة!

هل تريد رؤيتي من غير زينة حقا؟

أجابها بصوت مبحوح: نعم.

حسنا، لك ما شئت ولكن ادر وجهك حتى انتهي.

فاستدار وقلبه ينبض بعنف من الانفعال والترقب واستغرقت العروس برهة من الوقت ليسمعها (حسني) تقول: الآن..

فاستدار (حسني) لتقع عيناه على رأس بيضاوية صلعاء ووجه أملس بدون ملامح يتوسطه عين واحدة تحملق فيه بحب غامر!.

***

حسام الخطيب..

(52) الأقزام

كان المشهد بشعًا للغاية، الدماء في كل مكان والرأس قد علق على أحد الجدران بينما في ذلك القدر الذي يغلي استقر جسد الأميرة (بياض الثلج) وقد بدا يهترئ من حرارة القدر، صاح أحد الأقزام وهو يعدو ليقفز من النافذة، ولكن سهام الجنود المحيطين بالكوخ عاجلته ليسقط صريعًا.

حاول بقية الأقزام التوسل للأمير أن يُبقي على حياتهم، وكان أحدهم متهورًا فاندفع بخنجر قصير يريد أن يسدد له ضربة في صدره ولكن الأمير تفاداها قبل أن ينشب سيفه الفضي في قلب القزم..

اقترب الأمير من رأس (بياض الثلج) وهو ينظر له في أسى متمتمًا:

- يا ليتك لم تهربين.

جمع الجنود بقية الأقزام الخمسة المتبقين وهم يقتادونهم خارج الكوخ إلى حيث تراصت خمس مشانق على الأشجار فصاح بهم الأمير في غضب:

- من الذي نصب تلك المشانق؟!

جاوبه جندي ضخم من جنوده:

- أنه أنا يا مولاي

هتف به الأمير في حنق:

- وهل تعتقد أننا سنعدمهم مثل أيّ أشخاص عاديين حتى يكونوا عبرة لغيرهم؟!، هذا الأمر سيظل طي الكتمان وإلا انطلق العامة المحبون للأميرة الراحلة يقتلون كل قزم وقصير قامة في المملكة.

رفع الجندي حاجبيه وهو يقول في دهشة:

- إذن ماذا سنفعل يا مولاي؟

- اقتلوهم بالسيف ثم ألقوا جثثهم في قبر جماعي وغطوه بحجارة كثيفة، ولنروي قصة ملفقة نغطي بها على تلك الكارثة بأن الأميرة الجميلة قد لجأت لكوخ هؤلاء الأقزام السبعة الطيبين وقد اعتنوا بها وأكرموها بشدة ثم تزوجت ورحلت. بعض الحقائق يجب ألا يعلن عنها للعامة أبدًا.

وهكذا ولدت قصة الأميرة (بياض الثلج) والأقزام السبعة.

***

(53) الصل

سارت مع ابن أخيها الصغير في وجل وخوف شديد، تلوذ به ولكنها تمنحه كلمات زائفة بالأمان، تعلم أن الوقت قد تأخر والمواصلات قد انقطعت ولكن عليها قطع كيلومترين نحو بيتها في تلك القرية البعيدة.

الطريق الوحيد الذي عليها اجتيازه مخيف للغاية، إنارة باهتة وخيالات متحركة تثير الرهبة، سمعت صوت ابن أخيها يقول بتوتر:

"أنا خائف"

صاحت فيه بقوة رغم أنها تشاركه نفس مشاعره بل وأكثر:

- لا تخف، أنت معي ولن يصيبك شيء.

- والعفاريت!

- لا يوجد عفاريت.

كانت تعلم أنها كاذبة، يوجد في ذلك الطريق أكثر من شبح، منهم من مات منذ سنين ومنهم من مات حديثًا، ولو لم تمت على يد أحدهم لماتت من الرعب، أحد المارة وجدوه مرتطمًا بقسوة بالأرض وقد تفتت حبيبات مخه خارج رأسه، لا يفعل ذلك بشر.

شعرت بدخان كثيف يظهر على الطريق حتى شكل جدارًا ضخمًا، أمسك ابن أخيها بتلابيب ثيابها وهو يقول:

- عمتي

لم تجبه هذه المرة وتطلب منه التحلي بالشجاعة فهي تقريبا قد بالت في ملابسها الداخلية من الرعب، سمعت ضحكة لطفل صغير ترن في المكان فصرخت وأسرعت تعدو عائدة من المكان الذي أتت منه لتتفاجأ بجدار أمامها وجدار يظهر من الناحية الأخرى والجداران

يقتربان من بعضهما البعض حتى حجز العمة المذعورة والطفل المرتعب فيما بينهما.

حاولت أن تردد آيات من القرآن الكريم ولكن الكلمات هربت منها والجدار يقترب وضحكات الطفل التي بالمكان ترن أكثر وأكثر، هنا صاح ابن أخيها في فزع فانفرجت في الدخان فتحة تشبه الباب، أسرعت هي تعبر منها وهي تجر الصغير في قوة ثم أطلقا ساقيهما للرياح.

لا تدري لكم من الوقت جرت؟!، ولا كيف احتملتها قدماها حتى وصلت إلى منزلها لتسقط مغشيًا عليها.

أفاقتها أمها وهي تنضح عن وجهها الماء لتروي لها في فزع كل ما حدث، صمتت الأم العجوز وهي تقول:

- احمدي ربك أنه صل.

رددت خلف أمها ببلاهة:

- صل!

- نعم، الصل هو شبح لطفل صغير مات على الطريق، يخرج بين حين وآخر ليعبث بالمارة ولكنه لا يؤذي أحدًا

- ولماذا تركني؟ لقد كان الجداران على وشك أن يطبقا علينا!

نظرت الأم العجوز إلى الطفل الصغير الذي لاذ بالفراش قائلة:

- لأنه كان معكِ طفل صغير كذلك، فتركك من أجل ذلك، لو كنتِ وحدك لما عدتِ.

تنفست الفتاة الصعداء وهي تجذب طرف الغطاء لتشارك الطفل الصغير الدفء وهي تقول لأمها:

- الحمد لله، لقد نجونا

مالت أمها على أذنيها لتهمس في صوت حرصت ألا يصل إلى مسامع الطفل قائلة:

- لا أعلم، أحيانا يقولون أن الصل إذا أعجب بالطفل الصغير يأتي معه إلى المنزل وينام معه بالفراش، كوني على حذر الليلة.

تركتها أمها بابتسامة خبيثة لم تلحظها الفتاة وهي تنظر إلى ابن أخيها في قلق كبير.

***

(54) الحديقة

توافد أهل المدينة على تلك الحديقة العجيبة، كانت زهورها على شكل وجوه بشر، وقف البستاني أمامهم وهو يشير إلى الزهور ويذكر الاسم الذي منحه إياها قائلًا:

- هذه الزهرة اسمها (تولانا)، أما هذه اسمها (فلامينكا)، كلهن لا ينبتن إلا في حديقتي أنا واتحدي أي بستاني في الكون بأسره أن يأتيني بمثلها

سأله رجل بدين وهو يميل ليمسك إحدي الزهور:

- وكيف حصلت أنت على تلك الزهور في المقام الأول؟!.

ابتسم البستاني لتبدو أسنانه الصفراء التي نخرها السوس قائلا:

- هذا سري الصغير.

أثارت عبارته انتباه ذلك الفتي اليافع المولع بالزهور والأسرار، فصمم على معرفة من أين يحصل البستاني على بتلات أزهاره العجيبة الغالية، فرغ البستاني من عرض زهوره وباع بعض منها بثمن مرتفع للغاية ثم انصرف زواره واحد تلو الآخر، قبل أن يغلق باب الحديقة ويسعى نحو مشتله الخاص.

كان الفتى حينها قد اختبأ خلف مجموعة من الشجيرات داخل الحديقة دون أن يلحظه أحد، ولمّا تأكد من خلو المكان من الناس ومن انشغال البستاني بمشتله حتى تسلل وهو يلقي نظرة داخل المشتل.

رأي البستاني يَخرج من الباب الخلفي للمشتل، فأسرع هو يبحث وسط النباتات عن أيّ بتلات مميزة أو أكياس بذور غير معروفة، وجد جوالًا قديمًا يبدو نصف ممتلئ ملقى إلى جوار الحائط.

أسرع نحوه يفتحه بسرعة وهو يتطلع داخله قبل أن يتراجع للوراء وقد ندت منه صرخة مكتومة.

كان بالجوال رأس آدمية لفتاة صغيرة لم تتجاوز العشرين، تراجع للخلف وهو ينظر لأرض المشتل في تمعن، كانت تبدو هناك شعيرات تشبه الشعر الآدمي تخرج ملتفة حولها زهرات من الأرض، هنا أدرك سر البستاني، أنه يزرع رؤوس البشر فتطرح بشكل ما زهورًا لها وجوه، نفس وجوه من قتلهم.

شعر بالرعب فالتفت يحاول الهروب بسرعة ولكنه وجد البستاني أمامه بابتسامته القميئة والذي عاجله بإغماد مقص تهذيب الزهور في صدره، جحظت عينا الفتى وروحه تغادر جسده، ثم سقط على الأرض مضرجًا بدمائه.

وقف البستاني فوق جسده، ثم مال والتقط سكينًا جز بها رأس الفتي بحركة ماهرة وهو يضع بذرة لزهرة في فم الرأس ثم يحفر لها حفرة بالأرض ويزرعها فيها مغمغمًا في حيرة:

- ستكون هذه أول زهرة ذكورية لدي، تري ماذا سأسميها؟ ماذا سأسميها؟

***

(55) المقبرة

لا يدري (محسن) لما قبل ذلك الرهان السخيف من البداية؟، تُرى هل خشي من أن يبدو جبانًا أمام أقرانه؟!، ولكن أيًا منهم لم يقبل أن يبات ليلة كاملة في قبر مغلق بالمقبرة، فلما عليه هو ذلك؟

كان الوقت قد فات للتراجع فمضى معهم وهو يتظاهر بالقوة، ثم تعاون مع أصدقائه في فتح باب المقبرة وهو ينزل درجات السلم في حذر ويتأكد من أن هواء المقبرة يؤهله للبقاء حيًا حتى اليوم التالي، ثم سألهم أن يغلقوا الباب عليه من الخارج.

أظلمت الدنيا شيئا فشيئًا وهم يغلقون الباب عليه، وهبط هو بقية الدرج وهو يخشى أن يرتطم بالجثث المتراصة بالأسفل.

كان لحسن حظه لا يؤمن بالأشباح ويعلم أن هؤلاء جميعًا لن يقوموا من رقدتهم أبدًا، هو على ثقة من ذلك ولكن المكوث ليلة كاملة هنا تضايق جسده ونفسه

نظر حوله وهو يقول بسخرية:

" كلها جثث، كلهم أموات"

قرر أن يتوسد ذراعه وينام قليلًا حتى الصباح حينما ينتهي ذلك الرهان السخيف، تلمس المكان المظلم ثم اتخذ مكانه جوار إحدى تلك الجثث وخلد للنوم.

بعد دقائق شعر بحركة مريبة قريبة منه، وكأن شيئا ما يتحرك، وسط الظلام الحالك هذا، لا يستطيع تبين شيء، سوي خيالات وهمية، ربما هو جرذ أو فأر ولكن ماذا لو كان ثعبانا ساما؟!، ستكون مصيبة.

حاول حماية يديه وساقيه وأن ينأى بنفسه عن مصدر الحركة ولكنه سمع صوتًا يشبه متحشرج يصيح:

" ذوني"

دب الرعب بقلبه وهو ينتصب واقفًا مثلما انتصبت شعيرات جسده بعدما دبت فيها القشعريرة وهو يصغي السمع ويحاول أن يرى ما الذي يحدث

"ذوني"

صرخ بأعلى صوته وهو يعدو نحو باب المقبرة متمنيًا أن يكون أصدقاؤه غير بعيدين عنه وهو يصرخ بقوة:

" أخرجوني يا رفاق"

" ذوني"

شعر بالصوت يقترب منه، لا ريب أنه شبح سيفتك به ويقتله، من الخطير العبث مع الأموات هكذا حذره والده دومًا ولكنه لم يصغي له.

"ذوني"

الصوت يقترب و(محسن) لا يرى شيئا، يدفع بيديه وقدميه شخصيات خيالية صورها له عقله في الفراغ.

شعر بيد تمسك قدمه بقوة وتصيح:

"ذوني"

كان قلب (محسن) القوي أضعف من أن يحتمل كل تلك الإثارة فسقط على الأرض وأظلمت الدنيا أمام عينيه.

في الصباح التالي احتاج أصدقاؤه لساعة كاملة حتى يفهموا ما حدث من حارس المقابر، الحقيقة أنه ليس هناك من أشباح، فقط

طبيب ساذج غر صرح بدفن شخص ما في غيبوبة دون أن يتأكد من صحة موته ثم كان أن استيقظ الرجل في الظلام الدامس وأخذ يصيح بمن ينقذه فشعر (محسن) بالرعب ومات على الفور جراء توقف قلبه.

عقب أحد الشباب وهو يمسح دموع حزنه على صاحبه الفقيد قائلًا:

- والعجيب أن الرجل الآخر لم يكن ليعيش لولا قدومنا لفتح المقبرة للمرحوم

قال لهم الحارس:

- نعم، لقد كان في أضعف حالاته حتى أن كلمة (أنقذوني) كان ينطقها (ذوني)!

***

(56) المرحومة

أخذت تقلب السكر في كأس الشاي الذي يحبه زوجها بعد الغداء، وهي تتعشم أن يكون مفعول ما خلطته به سريعًا.

منذ بضعة شهور وهي ترتب لقتل زوجها حتى تحصل على حريتها وثروته بضربة واحدة، وهذا السم الذي أخبروها عنه لا لون له ولا طعم ولا رائحة له وبالتالي لن يكتشفه زوجها حتى يكون قد ارتشف أخر قطرة.

أسرعت نحوه بكوب الشاي وهي تناوله إياه وعلى شفتيها ابتسامة ظافرة، قال لها بفضول:

- وأنتِ، ألم تعدي لنفسك قدحا من الشاي؟

- أنا لا أريد

- كيف هذا، كوب الشاي لا يحلو إلا وأنتِ تتناولينه معي، سأذهب لأصب لكِ واحدًا.

خافت أن تجعله يشك فيها أو تكشف خطتها فصاحت به:

- حسنا ولكن بدون سكر

- أعرف

جاء بعد لحظات وهو يحمل كأسا للشاي ويناولها إياه وهو يرتشف من كأسه في تلذذ قائلًا:

- تسلم يداك

شعرت بالقلق نوعًا ما، الشاي يبدو بدون سكر نعم ولكنه غريب الطعم، أيكون قد عثر على السم ودسه لها.

قامت من مكانها بسرعة وهي تهرع للمطبخ لتتفقده، لم تكن قنينة السم هناك، كانت ملقاة بالقمامة في إهمال، لقد دست له ثلاث قطرات في السكر، أما هو فأفرغ لها قنينة كاملة، ستموت خلال لحظات معدودة، رشفة واحدة من الشاي التي تناولتها ربما ممزوجة بأكثر من ثلاث قطرات بالتأكيد.

شعرت بألم يدب في بطنها، وهي تصرخ وتنظر لباب المطبخ حيث وقف زوجها، هرع على إثر صرختها ولكن السم عاجله في الطريق فسقط يتخبط وسط الألم قبل أن تهمد حركاته.

سقطت هي كذلك وحاولت أن تزحف نحو الباب طلبًا للنجاة ولكن قدماها لم تطاوعها فصرخت صرخة أخيرة قبل أن تغيب عن الدنيا..

جاء تقرير الطبيب الشرعي عجيبًا، الزوج مات بالسم فعلًا ولكن الزوجة ماتت بسبب أن جسدها أعتقد أنه قد تسمم فتفاعل عكسيا مع ذلك وزادت نفسيتها المتوهمة من دقات قلبها حتى ماتت من فرط إفراز الأدرنالين، حسبما فسرتها الشرطة وجد الزوج قنينة السم مصادفة وحينما لم يجد لها رائحة أو طعم سكبها بحوض الأطباق ثم ألقى بها بالقمامة.

***

(57) التعويذة

كان يقرأ كثيرًا في كتب السحر القديمة ويجرب كل التعاويذ التي بها عسي أن يصل إلى القوة والثروة ولكنه وصل إلى نتيجة شبه مؤكدة أن كل تعاويذ السحر المكتوبة تلك ليست صحيحة، وأن كل كتب السحر المتداولة مزيفة.

حتى كان ذلك اليوم الذي أشترى فيه كتاب سحر قديم كل وريقاته مهترئة، كل التعاويذ ليست كاملة أو بها أحرف ناقصة، إلا واحدة كان مكتوب تحتها "تعويذة إبعاد الأعداء"

شعر بأنها تعويذة ستمنحه القوة وستمكنه من أن يقضي على أعدائه مع أنه ليس له حتى الآن أعداء، ولكن الاحتياط واجب..

أخذ يقرأ التعويذة بصوت متهدج محاولا أن يجعله ثابتًا:

"ملا يانين، شيرش يانين، الفا هيكول الفا هيكول، ميكلاسيناسوس، ياكس سيناسوس"

كانت التعويذة يجب أن تقال لثلاث مرات متتابعة فرددها وصار صوته أقوى في كل مرة لم تفلح معه تعويذة من قبل، ولا يدري كيف سيشعر أنها نجحت فهو ليس له أعداء حتى يتفقد أن كانوا قد ماتوا أم لا، ربما هي ستمنحه قوة جسدية أو عقلية ما للفتك بالأعداء، لا يدري.

ما هي إلا لحظات قصار حتى بدا سحر التعويذة يعمل، شعر بتقرحات مخيفة في جسده وأن جلد وجهه وجسمه يتساقطان على الأرض، صرخ من الألم وهو يتلوى أرضًا، ولا يدري ما الذي يحدث معه؟!

ثم أتي الدود..

بدا الدود يخرج من بين الجلد المتساقط والقروح ليزحف على الأرض من حوله في شكل مخيف.

الآن بدا يفهم معنى التعويذة ولكن بعد فوات الأوان، التعويذة جعلت جسده وشكله كريهًا حتى أن أصدقاءه أنفسهم لن يجسروا على الاقتراب منه.

***

محمد أبو الفتوح..

(58) الجوع الكافر

ذلك الجوع القارص الذي تشعر أنه يعتصر معدتك اعتصارا.. أفتح خزانة المطبخ كالمدمنين.. خاوية كمعدة فرخ وليد.. الثلاجة مليئة بالماء.. ماذا أفعل.. أعدو كالمدمنين وأنا أفتح خزانة الخزين كالمجانين.. لا أجد إلا بقايا خبز عفن وبعض ثمرات البطاطس المهترئة.. لا أملك مالا حتى لأشترى به بعض الخبز والملح.. اشتاق إلى اللحم وطعمه.. سأخرج لأتجول في الشوارع وأبحث في القمامة لعل أحدهم ألقى بشيء ما هنا أو هناك.. ارتدى معطفي الذي لا أملك غيره بعد أن بعت كل ملابسي وأثاث شقتي.. أخرج مسرعا فأمعائي تأكل نفسها وهى تصدر أصوات كنباح الكلاب.. المطر يتساقط بغزاره ويجعل الرؤية صعبة.. هزيم الرعد كأنما يشارك صوت معدتي في علو الصوت.. أفحص بعض سلات القمامة.. لاشيء.. يبدو أن ساكني تلك العمارة لا يدعو شيئا إلا وأتوا عليه.. صافرات عربة شرطه تلوح في الأفق.. يجب أن أعود إلى منزلي فقد انتشرت جرائم القتل التي لم يتم العثور على فاعلها.. "هل تعرف أين يمكنني أن أجد أمي.. فأنا أخاف الرعد والمطر".. انتفضت وأنا التفت إلى الخلف لأجد طفلة لم تتعد الثانية عشر تقف وهى ترتجف من البرد والمطر.. آلمني مظهرها.. قلت لها بثقة لأحاول أن أطمئنها لا تخشي شيئا سنجدها ولكن هيا لنذهب إلى بيتي إلى أن تتوقف الأمطار.. وسنذهب سويا للبحث عنها.. مدت يدي إليها لتلتقطها دون تردد وتذهب معي إلى بيتي.. يبدو أن شكلي يبعث إلى الاطمئنان.. عدت إلى منزلي أجلستها ليس عندي ما أطعمه إياها.. أطلقت معدتي تلك الزمجرات مره أخرى.. تدفقت الذكريات إلى ذهني.. جثث سكين أواني طهي لحم شرطة.. لقد توقفت منذ فتره عن أكل

اللحم البشرى خاصة بعد تشديد الشرطة للدوريات وبحثها عنى فحاولت أن أتوقف واتجهت للحوم الحيوانات.. الآن هذه الطفلة معي ولا يعلم أحد أين هي.. وأنا أكاد أموت جوعا.. تذكرت رائحة اللحم المشوي.. انتابني الجنون ودخلت إلى المطبخ أحضر السكين.. سمعت صوتها من خلفي وهى تقول أنا جائعة ألديك بعض الطعام.. أطبقت يدي على السكين وأنا أستدير ببطء قائلا.. وأنا أيضا أكثر منك جوعا.. صوت غريب يصدر منها.. أستدير مسرعا لأشاهدها وهى تقفز وأنيابها تخرج من فمها لتنقض على عنقي وتنشب أسنانها فيه وتقتلع جزءا منه بلا رحمه.

***

(59) التوأم

إن يكون لك أخ توأم فأنت من المحظوظين.. "السند الأنيس الظهر قل ما شئت.. وكنت أنا أحد أولئك المحظوظين.. منذ ولادتي وهو بجواري لا يفارقني.. كنا سويا ونشترك معا في كل شيء حتى البكاء.. مرت الأيام والتحقنا بالدراسة بنفس المدرسة والفصل.. نذهب سويا ونعود سويا.. وفى الليل ينام بجواري ولا يفارق فراشي.. شركاء في الأكل حتى في طبق واحد ونجترع الماء من نفس الكوب ولكنه دائما كان ينتظر حتى انتهى من طعامي وشرابي ليكمل خلفي ما تبقى منى.. صديقي الأوحد الذي أغناني عن معرفة الآخرين.. فأنا به اكتفى.. في سن المراهقة لاحظت عليه بعض التغييرات.. أصبح كثير الصمت كثير الاختلاء لنفسه قليل الحديث قليل اللعب.. ينظر إلى شاردا ولا يفتح فمه.. بل أنني في بعض الأوقات أرى في عينية نظرات مقت وكراهية.. هل لاحظ ما لاحظته.. أمي وأبي دائما ما يدللاني عنه.. يشترون لي أفضل الثياب وهو ثوب واحد كنت أراه به دائما لا يتغير.. يأخذونني للسينما والملاهي وهو لا يخرج أبدا معنا.. لم أعلم سبب التفرقة ولم أقف عنده كثيرا في صغرى ولا هو.. كان يكفى بالنسبة لنا أن أعود إلى المنزل ليستمر اللعب والمرح.. في يوم من الأيام فوجئت به يقول لقد علمت حقيقة الأمر وما علمته جعلني أكرهك ولا أطيق الجلوس معك.. ستستيقظ في يوم ولن تجدني لجوارك وأنني لأندم على كل لحظه قضيتها معك.. لم أفهم ما يقول وانزلقت الدموع من عيني والكلام يمزقني كسكين أحد الجزارين وهو يسلخ إحدى الأغنام.. استيقظت بعد عدة أيام لم أجده بجواري بحثت عنه في كل البيت ولم أجده.. اندفعت نحو غرفة أبى وأنا أبكي.. أبي أين ذهب أخي.. احتضنني ووضع رأسي على صدره وأنا أجهش في البكاء.. أين هو أين هو.. سألني أبي من.. أجبت والدموع تفيض منى أخي لم اعتاد أن أفارقه منذ ولادتنا

ولن أطيق أن نفترق الآن بعد كل هذه السنوات.. نظرت إلى أبى لأجد دمعتين ينزلقان على وجنتيه.. لا أعلم ما الذي تقوله ولا كيف علمت أنه كان لك أخ توأم اضطرنا أن نضحي به حتى تتمكن أنت من العيش ومات أثناء ولادتك..

***

(60) مناوبة ليلية

وقت مناوبتي الليلة في حراسة شركة البترول التي أعمل بها.. أحب عملي كثيرا وخاصة عندما تأتى المناوبة الليلية فأنا أعشق الليل وسكونه ورائحة هوائه المميزة.. تجولت في أنحاء المكان متفحصا.. الصمت يغلف المكان حتى لا تسمع إلا أصوات صرصور الليل ونقيق بعض الضفادع والهواء وهو يطلق صفيره المرعب.. وصلت إلى البوابة الأولى الأمن بها مستتب.. البوابة الثانية لا شيء.. مزق الصمت عواء كلب بالخارج جعلنى انتفض من مكاني.. ذلك الصوت الذي لا تعلم أهو لكلب أم أحد الذئاب.. رد عليه آخر.. ليتحول الأمر إلى معزوفة ليلية مبهجة من عواء تلك الكائنات التي لا أعلم ماهيتها.. نباح اندلع بجواري لأقفز مترين للأمام لأجد كلب الحراسة الذي يشاركني الموقع يقف بجانبي وقد انتصب ظهره وهو يرد عليهم وكأنما يهددهم بألا يقتربوا من هنا وإلا نالوا ما لا تحمد عقباه.. فجأة توقفت الأصوات وعاد الصمت مره أخرى.. ربت على ظهره وهو يتمسح في قدمي ويزوم ويلعق يدي.. فجأة توقف وتحركت أذناه بشكل سريع في عدة اتجاهات وتشمم الهواء وهو ينبح نحو البوابة الثالثة ثم اندفع يجرى ناحيتها.. أمسكت اللاسلكي وكلمت زميلي في الحراسة ليأتى ويذهب معي لنفحص المكان.. أتى مسرعا ونظر إلي متعجبا كمن يراني أول مرة وهو يقول لقد نسيت.. لم أعره اهتماما وأنا اندفع ناحية البوابة ونباح الكلب مستمر.. دوت طلقة نارية تشق السماء يطلق بعضها الكلب نباح خافت ليصمت تماما.. وصلنا إليه لنجده جثة هامدة ولا أحد هناك.. اندفعت كالمجنون أبحث عمن قتل أفضل صديق للإنسان.. سيطر على عقلي فكرة واحدة وهى الانتقام.. استل كل منا مسدسه ونحن نبحث عن ذلك اللص أو اللصوص.. وقف زميلي بجانبي ولكن بلا حماسة وكأنه لا يهتم بما حدث.. هل هو مشارك معهم مستحيل

فأنا أعرفه منذ الدراسة وهو من أحضرني للعمل معه.. هل هي ضائقته المالية.. ظل رجل يظهر أمامي ويختفي في أحد الأركان اندفعت مسرعا إليه.. يوجه مسدسه لأقفز أرضا كأبطال أفلام هوليوود وأعاجله بطلقتين ليسقط أرضا مضرجا بدمائه.. اندفعت نحوه لأجد آخر يعدو في الاتجاه الآخر.. الأدرينالين يتصاعد لأقفز قفزة لا يقدر عليها الرياضيون وأطلق أخرى تسكن في رأسه.. صديقي لا يتحرك ويشاهد ما يحدث فقط.. اللعنة يبدو أنه مصدوم.. أسمع صوتا من خلفي التفت لأجد واحد منهم يمسك مسدسه أطلقت عليه النار مسرعا ويطلقها معي في نفس التوقيت.. يسقط وهو يمسك صدره بلا حراك.. تبا ما هذا السائل الدافئ الذي أشعر به أنظر إلى بطني لأجد الدماء تتساقط منها كإحدى مواسير الصرف المنفجرة.. أنظر إلى صديقي ودموعه تتساقط كالشلال.. أسقط أرضا يلحقني ويمد يده إلي وهو يبكي لا تخف يا صديقي لا تخف.. أشعر بالحياة تغيب والضباب يزداد أمام عيني.. أقول له سامحني يا صديقي لم أوفي بوعدي بألا أفارقك أبدا.. يقبل رأسي وهو يقول لا تخف يا صديقي فأنك مازلت توفي بوعدك للمرة الخامسة.. أنظر إليه بعدم فهم ليكمل لقد حدثت الحادثة في سنة منذ خمس سنوات التي توفيت فيها ولكن في كل سنة في نفس الليلة تعود أنت ومن قتلتهم لتعيد ما حدث بينكم.. أنت لا تعلم مدى سعادتي برؤيتك فيها ومدى العذاب الذي أعيشه كل سنة بفقدك مرة أخرى.. عدني يا صديقي ألا تعود مرة أخرى.. عدني ألا تجعلني أعيش عذاب الليلة.. عدني عدني.. أنظر إليه في ألم وأنا أرى شعاعا من الضوء يقترب منى وأتمتم في خفوت أعدك يا صديقي.. لتسقط رأسي على جسدي للأبد..

***

(61) مشاجرة زوجية

أخيرا وصلت إلى منزلي الخاص في تلك القرية السياحية بالساحل الشمالي.. القرية مقفرة تماما في ذلك الوقت من السنة.. لم أجد غير هذا المكان لأذهب إليه بعد مشاجرة ساخنة بيني وبين زوجتي كالعادة انتهت بتركي للمنزل وتركها تكمل صراخها وسبابها اللامتناهي.. تسألني لما لم أذهب إلى أحد الأصدقاء.. أين هم بعد الزواج الخلفة والانغماس في الطاحونة سينفرط العقد حتى يتحول إلى رماد.. والداي توفاهم الله.. وحيد أنا ولكن الحمد لله أني ابتعت ذلك الشاليه الذي يشبه الكوخ وهذا اسمه هنا.. حتى يتسنى لي الانفراد بنفسي.. افتح الكوخ وادخل أضع أمتعتي وأخرج مسرعا لمشاهدة الشمس وهى تذهب في رحلتها الخالدة لتقع في البحر.. مشهد ولا أروع.. ظلت كلماتها وصراخها الهستيرية تتردد في عقلي.. نفضت رأسي يمينا وشمالا لعلها تقع منه.. دخلت الكوخ افتح بعض علب الطعام المحفوظ وأتناولها بلا شهية.. جن الليل وتعالى صوت الأمواج والرياح.. تقريبا لا أحد في القرية إلا أنا والعمال فقط.. سأخلد إلى النوم وأستيقظ لرؤية الشمس وهى تخرج من الماء.. ظللت أتساقط في تلك الهوة بين اليقظة والنوم إلى أن أخلدت إلى النوم لأستيقظ على صوت من بعيد يهتف باسمي.. أنظر من نافذة الكوخ.. الشاطئ مظلم تماما لا يضيئه إلا ضوء القمر البدر الكامل.. هل أتخيل أم ماذا هناك خيال امرأة تترنح وهى تسير على الشاطئ وتهتف باسمي غريب من هي.. تذكرت وقتها أقوال العمال والأساطير التي تناثرت هنا عن ظهور امرأة في الليالي المقمرة في ذلك الفصل من الشتاء (لهذا القرية خالية) وأنها تلتهم من تجده وتتشكل في هيئة من تحب.. طبعا لم أؤمن أبدا بهذه الخزعبلات ولكن في وضعي الآن كنت مستعدا لتصديق أي شيء خاصة وأني أرى ذلك بعيني أنها تقترب بتلك الخطوات المترنحة.. أغلقت الباب جيدا والنوافذ وجلست متأهبا في صالة الكوخ.. خطوات متثاقلة وكأنما تقدم خطوة وتؤخر الأخرى.. قرعات على الباب دوت كالقنابل في هذا الصمت من حولي.. صوت يرتفع أميزه جيدا.. افتح لقد جئت لاعتذر

وأطلب.. لا يصح أبدا ما فعلته معك فأنت سندي وزوجي.. اللعنة أنه صوت زوجتي فعلا.. ولكنني لن أفتح فالاعتذار وطلب السماح ليس من طبع زوجتي خاصة والنساء عامة، يقولون أن هناك في الغرب بعضهن يعتذر ولكنني أظن أنها أساطير حضرية.. افتح أرجوك.. لن أفتح أبدا لكِ أيتها اللعينة.. لعينة أتسبني أيها الحقير.. أهي زوجتي حقا لكن كيف علمت أنني هنا.. الطرق تحول إلى قرع ثم تخبيط لن أفتح لن... عجبا لقد صمتت.. كيف ولماذا.. يبدو أنه كان معي حق أنها ليست زوجتي.. فهي لم تكن لتيئس أبدا.. حمدا لله.. فجأه عادت الطرقات مع صوت يقطر رعبا.. محمود انقذني أنها تقترب مني.. محمووووووود.. أنها قادمة تريد أن تنال مني.. أرجوك افتح وسأفعل كل ما تريد ولن أتشاجر معك مرة أخرى أبدا.. إنها تلك العفريتة يبدو أنها تستغل حبي وخوفي على زوجتي.. أصوات صراخ تصم الآذان لشخص يذبح ويسلخ حيا.. تبا عند نهاية تلك الليلة اعتقد أنني سأجن تماما.. الهاتف المحمول يرن.. أخيرا صمت الصراخ.... إنها حماتي ليس الوقت مناسبا أبدا.. لم أرد.. عاودت الاتصال ثانية.. رددت وأنا أتصنع النعاس.. ألو.. محمود.. هل أميرة عندك.. لا أنها في المنزل وأنا بالخارج.. أعلم أنك بالكوخ في الساحل لقد أتت وتركت الأولاد وأخبرتني أنها ستذهب إليك لتصالحك وتعتذر عما بدر منها.. واتصلت لأطمئن على وصولها ولكنها لا ترد.. أغلقت الهاتف وأنا افتح الباب مسرعا لأخرج وأفرغ ما بمعدتي وأنا أشاهد تلك المرأة وهى تقتطع أجزاء من زوجتي وتأكلها بكل نهم لتلتفت إلي وهى تضحك وتقول في المرة الأولى كنت أنا ولكنني تركتك عندما وجدتها قادمة من بعيد وعندما انتهى منها سيأتي دورك وأعدك أنه لا مفر منى.. وانطلقت ضحكاتها وانفجرت معها مثانتي لتغرق الأرض من تحتي وصدى الضحكات يتردد في المكان.

***

محمود عبد العال..

(62) خروج عن السيطرة

انتهيت من الفصل الأخير بروايتي الجديدة، فشعرت بأنني متعطش لقسط من الراحة، وما هي إلا لحظات حتى كنت أغط في النوم، وبينما أتقلب وجدت حركتي مكبلة، فتحت عيناي لأرى ما يكبل حركتي، لأجدني مشدودا إلى عامود خرساني وقد قيدت بحبال غليظة تمنع حركتي.

في ركن مظلم أمامي، كان يجلس شخص لا تتضح ملامحه فصرخت فيه:

"من أنت ولماذا قيدتني هكذا؟"

قام من مقعده فدخل في دائرة الضوء لتتضح ملامحه التي شعرت أنني أعرفها جيدا فأعدت سؤالي

"من أنت؟ "

ضحك بصوت مرتفع ثم سكت فجأة وقال:

"بالتأكيد لن تتذكر ضحاياك"

فغمغمت:

"ضحاياي؟"

"أنا بطل روايتك أيها الأحمق، الذي يستمتع بتحكمه في مصائر البشر، لماذا جعلتني أقتل بهذه الطريقة البشعة أيها الوغد، ولماذا أنا..

لماذا لم تقتل علياء أو سمير أو حتى تلك الطفلة السمجة رنا"

فصرخت فيه قائلا:

"أنت محض خيال، أنا من صنعك من أفكاري، وأنا من يحدد كيف ومتى سينتهي دورك"

لم تبدو على وجهه بادرة انفعال، ولكنه اقترب منى مدنيا وجهه من وجهي، حتى شعرت بأنفاسه تحرق أنفي وقال:

"ستغير تلك النهاية الحمقاء وإلا ستندم.. صدقني ستندم ندما شديدا"

ولكمني أسفل عيني بقبضته لأشعر برأسي يدور بشدة،

ثم ابتعد وقبل أن يدخل في حيز الظلام مرة أخرى التفت قائلا:

"تذكر أنني حذرتك.. ستندم"

قالها واختفى، بل اختفى المشهد بأكمله لأجد نفسي مازلت في فراشي، ففهمت أنه كان كابوسا، ولكن حضوره كان طاغيا حتى أنني أقسمت وقتها بصوت مرتفع أنني لن أغير نهاية الرواية، فجأة، شعرت بألم أسفل عيني في موضع اللكمة، قمت متوجها إلى المرآة لأرى ما حل بي، لتسرى في بدني قشعريرة عما رأيت الزرقة أسفل عيني في موضع اللكمة، ولكنها لم تكن كل شيء، فالأكثر عجبا أن أرى تلك الكلمة التي كتبت بدماء قانية سال بعضها أسفل الحروف..

كلمة "ستندم"

***

(63) طفل

كانت المرة الأولى التي أسلك فيها هذا الطريق ليلا، حيث اعتدت أن أذهب إلى عملي من الطريق الذي يمر بين المنازل، فاستوقفني طفل- يبدو عمره تسع سنوات أو أكثر قليلا قائلا "كم الساعة الآن يا عم"؟

أخبرته أنها التاسعة مساء، سكت قليلا ثم قال في تردد "هل يمكن أن تمنحني جنيها لأشتري به شيئا ما".

فبحثت في جيبي لأجد جنيها، فمنحته إياه ليولي منصرفا.

خطوت خطوتين ليس أكثر ثم التفت لأسأله عن بيته فربما يكون أهله فقراء في حاجة لمساعدة مادية، ولكني لم أجده وكأنه تبخر، فتشت ببصري عن مكان قد يكون دلف إليه، المنطقة بأكملها مكشوفة أمامي، وأقرب مكان يمكنه أن يختفي خلفه يبعد نحو دقيقتين مشيا عن موقعي هذا.

بسملت وحوقلت واستدرت مكملا طريقي، لأجده أمامي، يقترب سائلا "كم الساعة الآن يا عم، هل يمكن أن تمنحني جنيها لأشتري شيئا ما".

***

(64) ليلة "ورد"

كانت دائما ما تمر من أمامي في كل ليلة بعد أن يخلد أهل القرية للنوم،

وفى كل مرة كنت أتابعها ببصري تنظر حولها، تدير رأسها يمنة ويسرى، وتشير بيدها لأتبعها.

فى الحقيقة كنت أود في كل مرة تمر من هنا أن أفعل، كنت أشعر أنها تريدني، ولكن كانت تدوي في أذني كلمات عمار الحارس الآخر الذي يجلس معي لحراسة هذا المخزن:

"احذر يا مصطفى، فنحن في ريف أهله غيورين للغاية، إياك ونساءهم، فهم قد يتسامحون في أي شيء إلا هذا الأمر، واحذر الليل يا صديقي فإن طوارقه لا تؤتمن" تلك الكلمات التي يكررها لي يوميا.

لكن في تلك الليلة، حين مررت تحت ضوء القمر المنعكس على صفحة مياه الترعة المقابلة للمخزن، كانت فائقة الحسن، وزاد من رغبتي أن نادت بصوت مثير

"مصطفي... مصطفي" فلم أشعر إلا وأنا أتحرك خلفها كالمجذوب، غير مبال بنداءات عمار من خلفي والتي تحولت إلى صرخات

"مصطفاااااا.. إلى أين أنت ذاهب؟"

كطفل يسعى خلف مهرج مر من أمام بيته، سرت خلفها مشدوها على طرف الترعة، حتى وصلت عند شجرة ووقفت مستندة عليها، توقفت بدوري انظر إلى جمالها، وعندما هممت بالاقتراب، أشارت لي أن أتوقف، فسألتها" ما اسمك؟ "

فقالت "ورد.. اسمي ورد"

اقتربت مسرعا وأنا أقول "ورد اسم رائع"

دارت حول الشجرة تختبئ مني، فتبعتها لأجد نفسي أقف وحيدا في مواجهة صفحة الماء، نظرت حولي باحثا عنها، لكنني كنت أقف وحدي في مساحة شاسعة مكشوفة أمامي.

بسملت وحوقلت وأنا أعود إلى المخزن، متوقعا وابلا من اللوم سيكبه في مسامعي عمار، أعرف أنه لن يصدق ما حدث.

اقتربت من المخزن لأجده جالسا يرتشف الشاي كأن شيئا لم يكن.

رويت له فابتسم قائلا

"ألم أخبرك يا صديقي أن طوارق الليل لا تؤتمن"

ارتشف من الشاي مرة أخرى ثم قال

"كل أهل القرية يعرفون ورد، كانت كعود ريحان يفوح عطره، فيضفى بهجة على كل ما يحيط به، تتمايل فيتمايل الكون بأكمله فرحا"

كان وصفه لها شاعريا للغاية مما جعلني أتنهد قائلا:

"وما الذي حدث لها؟"

اختفت ابتسامته وحل مكانها مزيج من الغضب والحسرة

"عشقت.. عشقت شابا مغتربا كان يعمل في أحد المخازن المنتشرة في هذه المنطقة، وعلم أهلها بذلك فتربصوا بهما، وفى إحدى الليالي قتلوهما عند تلك الشجرة التي كانا يلتقيان عندها.. ذبحوهما كالنعاج وألقوا بهما في ماء الترعة"

عندما أتى إلى ذكر الشجرة تذكرت تلك التي اختفت عندها ورد.

فباغتني قائلا

"والآن دعنا من هذا الأمر، نم أنت وسأظل أنا مستيقظا، وبعد الفجر نتبادل المواقع"

استلقيت على الأريكة، وما هي إلا لحظات، ورحت في نوم عميق.

استيقظت لأجد ضوء النهار يغشى عيناي، ففردت كفي أمام وجهي لأحميهما ونظرت حولي باحثا عن عمار فلم أجده.

توجهت إلى الحمام وفى طريقي مررت بالطاولة التي وضع عليها أكواب الشاي.

كان كوب عمار ممتلئا كأنه لم يشرب منه شيئا، فقلت في نفسي ربما أعد لنفسه كوبا آخر بعد أن نمت.

ناديته وأنا في طريقي إلى الحمام "عمااااااار"

ولكن لا مجيب.

"صباح الخير يا مصطفى"

كانت هذه الجملة من يوسف حارس المخزن الصباحي

بادلته التحية ثم أكملت طريقي إلى الحمام قبل أن يسألني

"من عمار الذي تناديه؟"

فقلت دون أن التفت

"عمار زميلي في الحراسة الليلية"

"مصطفى لا يوجد أحد غيرك في الحراسة الليلية"

فالتفت متعجبا لأراه يضيق عينيه قائلا

"هل قلت عمار؟.."

فهززت رأسي مجيبا بنعم، فقال وهو يجلس على أحد المقاعد.

"لا أعرف أحدا اسمه عمار إلا عمار الحارس الذي قتله أهل القرية عند الشجرة مع عشيقته منذ عامين"

عندها مادت الأرض بي وأنا أنظر إلى كوب الشاي الممتلئ.

***

(65) بيت آل مارتيني

تساقطت أوراق شجر الخريف الجافة في حديقة ذلك البيت العتيق، بيت كريللو مارتيني الذي يعد من أكبر البيوت في مدينة فينيسيا الإيطالية.

يسكن به الكونت كيريللو الذي جاوز عمره السنوات المائة، وزوجته فلورا التي تصغره ببضعة أعوام، وأخيرا ابنتهما لويزا وهي في السبعين من عمرها.

أقاويل كثيرة قيلت عن البيت وساكنيه، حتى أن سكان المدينة أصبحوا يرسمون الصليب كلما مروا بالقرب منه، ادعى البعض أنهم من مصاصي الدماء، بينما قال آخرون أنهم أشباح، بينما أصر الباقون أنهم مجرد عجائز لا حول لهم ولا قوة، على الرغم من محافظتهم على رسم الصليب على صدورهم كلما مروا بالقرب.

وفي تلك الليلة خلت الطرقات من المارة بعد الغروب استعدادا لهذه الليلة الطويلة، ليلة الحادي والثلاثين من شهر أكتوبر الهالوين، والتي يصر بعض أبناء المدينة على الاحتفال بها على الرغم من أنه لم يكن أبدا في ثقافة الإيطاليين الاحتفال بها فيما مضى، هكذا تتغير العادات دائما إلى الأسوأ.

مر ذلك الرجل الأشيب الغريب عن المدينة في الطرقات الخالية باحثا عن أي بيت يقبل استضافته حتى الصباح، حيث تبحر سفينته في اليوم التالي.

ساقه حظه الغابر إلى المرور بجوار بيت آل كيريللو، وحيث إنه كان البيت الوحيد الذي أضيئت نوافذه فقد توجه إليه.

رحب به العجوز وزوجته التي كانت تنظر إليه بنظرات غريبة متفحصة تجاعيد وجهه، وتلعق شفتيها كأنها بصدد وجبة دسمة، ولكن المسكين لم يلحظ نظراتها.

لحظات وأحضرت لويزا بعض شطائر اللحم المقدد مصحوبة بزجاجة من النبيذ المعتق، ووضعته أمام الرجل، فتساءل

"ألن تتناولوا الطعام معي"

فقالت لويزا بعد أن رسمت ابتسامة باهته على شفتيها "لم يحن موعد عشائنا بعد".

انهمك الرجل في تناول الطعام، وفجأة شعر بألم شديد في معدته ولم يعد قادرا على التقاط أنفاسه، فسقط وجهه على الطاولة أمامه.

حمله آل كيريللو إلى غرفة جانبية تحتوى على طاولة كبيرة وعليها مجموعة ضخمة من السكاكين الحادة، وأشعلوا حوله بعض الشموع ذات رائحة دهنية ثقيلة وخرجوا إلى الهو يحتسون كؤوس النبيذ استعدادا لوجبة العشاء.

بعد نصف ساعة دخلوا إلى الغرفة، وأمسكت لويزا بالسكين وتوجهت به إلى عنقه وذبحته، ولكن العجيب أنه لم ينزف، فنظرت إلى أبيها متعجبة، قبل أن تفاجئها يد الرجل المذبوح والتي أمسكت بيدها ودفعت السكين لتنغرس في عنقها، قبل أن يعتدل جالسا ويمسك برأسها، متلقيا بفمه ما تنزفه من دمها بنشوة.

بينما كانت تجاعيد وجهه تختفي تدريجيا.

بعد ساعة...

كان مجموعة من الشباب يمارسون احتفالهم بليلة الهالوين بالقرب من منزل آل مارتيني ليفاجئوا بذلك الشاب الذي لم يرونه من قبل مغادرا البيت، واختفى بعدها آل كيريللو إلى الأبد...

***

حاتم أبو الخير..

(66) قرية الأشباح

كنت أقود سيارتي ببطء، متمايلا يمينا ويسارا بجسدي مع رجرجة السيارة بسبب وعورة الطريق، إلى أن رأيت ذلك الشخص الذي يشير بيديه طالبا منى التوقف!!

لم أستطع التوقف من الصدمة، فقد هالنى منظره، إلا أنني عندما نظرت في المرآة؛ توقفت على الفور، فقد رأيت على ملامحه هلعا لم أستطع تفسيره، ولم أكد أتوقف حتى جاء راكضا، وفتح الباب، وقبل أن يجلس بجواي كان يقول بلهجة مرتعبة:

تحرك بسرعة، أرجوك؛ أنهم قادمون

لم أكن بحاجة لكلماته، فقد رأيت بالفعل خيالات لبعض الأشخاص، وكلها تركض ناحية السيارة، فتحركت مسرعا، محاولا تفاديهم، ولكن؛ رغم محاولاتي المستميتة؛ إلا أنني قد صدمت اثنين منهم، ولكن الغريب أنني شعرت أن أجسادهم كانت رخوة!!

وبعد أن ابتعدنا بمسافة كافية، توقفت ونظرت إليه، وقلت له مستفسراً:

والآن؛ هل تشرح لي ما هذا؟؟

فنظر إلى والعرق ينهمر من وجهه بغزارة قطرات المطر في ديسمبر:

صدقني، أنا نفسي لا أفهم

فأشرت بيدي للخلف وقلت:

ومن هؤلاء الذين كانوا يركضون خلفك؟؟

فأخذ الرجل نفسا عميقا، ثم قال:

أنا عاصم؛ نجل وجيه السلحدار

ولما لم يجد ما يدله على أنني قد عرفته؛ تابع:

والدي كان من أعيان هذه القرية، وأنا وريثه الوحيد، وقد كنت أعيش في الخارج، وهذه ليلتي الأولى في القرية

ثم ازدرد لعابه وقال:

حذرني أهل القرية من المبيت بمنزل والدي بحجة أنه مسكون، ولكنني لم أعر حديثهم أي انتباه، رغم أن أحدا من كانوا يعملون عند والدي أكد لي أن أهل القرية لا يخرجون من بيوتهم بعد منتصف الليل؛ وحتى شروق الشمس مهما يحدث، لأن الأشباح تخرج لتتجول في القرية، ومن تجده لا يسلم منها

فقلت له مستفسراً:

هل تقصد أن من كانوا يركضون خلفك هم...

قاطعني قائلاً:

نعم؛ أنهم أشباح، فقد تحدت أهل القرية؛ وخرجت من المنزل بعد منتصف الليل، وفوجئت بهم يجوبون القرية بحثا عن ضحية جديدة، وبالطبع لم أجد أي شخص يساعدني، فظللت أركض حتى رأيت أضواء سيارتك على الطريق.

نظرت له نظرة عميقة، حاولت بها أن أسبر أغواره، فقد كان يبدو عاقلا متزنا رغم الترهات التي قالها، ولكن؛ كنت أشعر أنه يكذب في شيء ما، ماذا لو كان مجنوناً؟، ماذا لو كان لصاً؟، ماذا لو كان هو نفسه شبحاً؟؟!!

لم يكد هذا الاحتمال يجول بخاطري حتى بدأت اتخذ حذري، وبدأت التحرك بالسيارة، وقلت له:

حسنا، سوف نذهب إلى قريتنا، فهي قريبة، وفي الصباح سوف نبحث عن حل

وبدأت أقود السيارة بحرص، عين على الطريق، وعين تراقب هذا اللعين، ولكننا وصلنا القرية بسلام، وتوقفت أمام منزلي، ثم دعوته للدخول، فتحرك خلفي والذعر يغلف كل خطوة من خطواته البطيئة، حتى سمعنا صوتا قويا يقول:

لماذا تأخرت؟؟، أنني أتضور جوعاً

فانتفض ضيفي خائفا وهو يلتفت إلى مصدر الصوت، ولكنني طمأنته قائلاً:

لا تقلق، أنه والدي

فعرفتهما ببعض، ثم قصصت القصة التي حكاها لي الرجل، فاندهش أبي وقال:

أشباح!!، في تلك القرية!!

ثم استل سكينه الكبير وهو يقول لي:

لم أكن أعلم أن هناك أشباحا غيرنا في أي قرية مجاورة

فقلت له وأنا أنظر إلى الرجل الذي جحظت عيناه، وشاب شعر رأسه بالفعل:

لقد فوجئت أنا أيضا بتلك القصة، ولكن المهم أن عشاءنا جاهز

وانطلقت منا الضحكات بصوت عالٍ في القرية الساكنة؛ تماماً

***

(67) ليلة لا تنسى

لا أستطيع أن أنسى يومي الأول عندما انتقلت لذلك المسكن الجديد، كنت وقتها في الخامسة عشر من عمري، حين نزلت من مسكني في الواحدة صباحا لأجد مجموعة من الفتية في مثل سني، فحاولت أن أعقد صداقة معهم.

ولكن؛ لسوء حظي المعتاد، وجدتهم يتحدثون عن رغبتهم في اقتحام فيلا مهجورة في نهاية الشارع؛ يشاع أنها مسكونة بالأشباح، فانسحبت خوفاً؛ متعللا بتأخري عن موعد عودتي -الوهمي -، ولكن صوت ضحكاتهم الساخرة كان كالسهام التي اخترقتني، فالتفت إليهم وقلت غاضباً:

موعدنا غدا، وسنرى من منكم سيمتلك الشجاعة لمرافقتي!!

تهربت من اللقاء عدة أيام، إلى أن اضطررت إلى النزول من المنزل في منتصف الليل، حينها وجدتهم في نفس المكان، ولم أستطع الانسحاب، ولكن المشكلة الحقيقية أن الأوغاد أبوا أن يرافقوني، متعللين بأنهم فعلوا ذلك من قبل، وفى النهاية؛ لم يسعني إلا الرضوخ

وحين وصلت إلى باب تلك الفيلا كان أحدهم يقول لي:

عليك أن تمكث بالداخل حتى الشروق

ثم همس في أذني:

إن صاحب الفيلا مات محروقا في الفيلا منذ سنوات، ومن وقتها لا يدخلها أحد

ازدرت لعابي بصعوبة، ثم تقدمت ببطء، والخوف يتمكن منى دقيقة بعد أخرى، حتى دلفت إلى مدخل الفيلا، والتفت إليهم فوجدتهم يلوحون لي بسعادة بالغة، أنهم فعلا أوغاد، ودفعت الباب

بحذر، فأصدر صريرا خافتا، وسرت بخطوات بطيئة حتى وصلت إلى الردهة، فاخترت مقعدا كبيرا وتمددت عليه

لم تمض دقائق خمسة على دخولي حتى سمعت أصوات بالقرب مني، ثم شعرت أن ثمة حركة ما داخل الفيلا

ثم رأيت ظلا لشخص يتحرك، وعندما اقترب من مكاني، وضحت معالمه، أنه لرجل عجوز يستند إلى عصا غليظة، ولديه انحناء واضح في ظهره

فلم أشعر بقدماي، وفى أقل من نصف دقيقة كنت أركض خارجها، خاصة بعد أن سمعت صوته وهو يسأل بصوت غاضب:

من أنت؟.. وكيف دخلت هنا؟؟!!

أخذت في البحث عن هؤلاء الأوغاد، كنت متأكدا أنهم قريبون، حيث إنهم لن يفوتوا هذه الفرصة للشماتة بي

ولكني لم أجدهم، وأثناء بحثي وجدت شخصين يجلسان على مفرش كبير أمام إحدى الفيلات؛ ويدخنان الأرجيلة، فاقتربت منهما وسألتهما عما إذا كانوا قد رأوا الشباب الذين كانوا بصحبتي؟؟

فابتسما لبعضهما، وقال أحدهما:

لابد أنك ساكن جديد، فالجميع يعلم أنه لا وجود لهؤلاء الشباب، وإن كانت تتردد بعض الحكايات عن رؤيتهم من قبل البعض

ثم أشار ناحية الفيلا التي كنت بها وتابع:

وذلك بعد أن احترقت بهم فيلا أحد أصدقائهم، ومن وقتها وهى على حالها، لا يعيش بها إلا الحارس العجوز فقط

تلقيت الصدمة، ثم قمت من مكاني عائدا للمنزل

ولكن: ها هو أحد أولئك الشباب يقف في الطريق، ويقترب مني

فانتابني الهلع، وانطلقت راكضا، ولكنه تبعني، فحاولت العودة إلى الشخصين اللذين جلست معهما طامعا في حمايتهما

ولكن؛ عندما وصلت إلى مكانهما كان يبدو وأنهما قد انصرفا، فتوقفت؛ ورأيت اللعين يقترب مني ويقول وهو يبتسم:

ماذا بك؟؟.. يبدو أنك قابلت عم سعيد

فقلت له مندهشاً:

من هو عم سعيد؟؟

فقال وهو يشير بيده:

حارس الفيلا، أو صدقت أنها مسكونة؟؟، إنها فقط مغلقة، ولكن يعيش بها ذلك الحارس

فلما رأى دهشتي سألني عمَّا بي؟؟، فقصصت عليه ما حدث مع الشخصين اللذين قابلتهما منذ قليل

وعندما انتهيت؛ كانت نظرة عينيه تخبرني بما توقعته، وما يبدو أنه كان واضحاً

لكن؛ يبدو أنني الأحمق الوحيد في هذه الليلة.

***

(68) الكابوس

"نزار".. ماذا بك؟

أفقت على نكزة في كتفي من صديقي "هيثم" وهو يلقي بذلك السؤال، فلم أحر جوابا، فقد كانت حالتي الجسدية على غير ما يرام

وأخذت في تذكر ما حدث منذ البداية، حين بدا ذلك الكابوس الغريب يراودني كل ليلة

ثلاثة أشهر كاملة يراودني فيها نفس الكابوس، مما جعل الحياة لا تطاق

جربت المهدئات؛ الأطباء؛ كل شيء، حتى أنني قد حاولت تحدى النوم، ولكن؛ من منا يستطيع أن يقاوم ذلك الوحش الذي لا يرحم؟؟!!

وعندما لاحظ صديقي ذلك، عرض علىَّ الذهاب لشخص ما من هؤلاء الأشخاص الذين يدعون قدرتهم على حل تلك الأزمات – كالتى أمر بها– بالأعمال وما إلى ذلك

بالطبع سخرت منه، ولكن؛ في النهاية وافقت، لأنني أريد النوم.. فقط

ثم تولى صديقي مهمة البحث عن أحدهم، وأخبرني ذات ليلة أنه قد توصل إليه، وقام بالتواصل معه، وأننا سنذهب إليه في المساء

وفى المساء عندما وصلنا إلى ذلك المنزل المتشح بالسواد الغامض، والذي بعث في نفسى شعورا بالكآبة والنفور عندما دلفت إلى ردهته، فوجئت، فقد كان ما بداخله يشبه إلى حد كبير ما أراه في كابوسي المتكرر!!

وحين رأيت ذلك العجوز أمامي، بالكاد استطعت أن أكتم صرختي، فقد كان هو نفس الشخص الذي أراه في كابوسي، الذي ينتهي دائما بأنني أحاول قتله!!

هل هي رسالة؟؟.. أم رؤيا؟؟.. أم حالة ديجافو؟، لا أعلم، ولكنني قررت الصمت حتى ينتهي من دجله المزعوم، ولنرى بعدها ما سيحدث

فنظرت إليه، فوجدته يلقى ببعض الحبات التي في يده، التى أنتجت دخانا كثيفا، وحين دققت النظر من خلاله، شعرت بأن عينيه تكادا أن تشتعلا حقيقةً لا مجازاً

ثم وجدته فجأة يمسك ببلورة زجاجية بدت لي وكأنما أتت من العدم، ثم وضعها على المنضدة الصغيرة الموجودة أمامه، وأخذ ينظر إليها ويتابع تلك التمتمات التي تبدو وكأنها تعويذة ما

وبعد عدة دقائق بدأت أشعر بالخدر يسرى في جسدي، فتساءلت.. هل سينجح ذلك العجوز الدجال في أن يجعلني أنام أم ماذا؟؟

ثم رأيته يتحدث مع صديقي، فرفعت عيناي لتلتقي نظراتي مع نظرات ذلك العجوز بعينيه الرهيبتين، التي شعرت بها وكأنها ترسل لي رسالة خفية تقول أن شيئا سيئا سيحدث لي

وحين دققت النظر وجدته يخرج شيئا من طيات ثيابه، تبينت فيه حبلا غليظا، بينما كان صديقي ينظر باهتمام إلى تلك البلورة، وعلى وجهه ارتسمت كل آيات الشر

وفى نفس اللحظة التي شعرت فيها أنني سأفقد الوعي خلال لحظات، كان الاثنان يقتربان مني، والعجوز يحمل سكينا كبيراً.

ذهبت إلى المكان الذي كان ذلك العجوز يقف فيه كي أنظر إلى تلك البلورة، وأرى ما كانا يشاهداه، فإذا بي أجد مشهدا حيا وكأنه بث مباشر!!

وبينما أمسح الدماء التي أغرقت نصل سكيني الكبير؛ الذي كنت قد خبأته في ملابسي، كنت أرى نفسي في البلورة وأنا التهم جثة صديقي

فانطلقت ضحكتي بصوتٍ عالٍ وأنا ألتفت لأمزق جثته بقوة، فلم أكن أتخيل أن تكون تلك البلورة بهذه الدقة

(69) قاتل آخر مجنون

إذن.. فأنت لم تر شيئاً؟؟

كان هذا هو السؤال الذي ألقاه علي ذلك الضابط الذي يحقق في جريمة القتل البشعة التي حدثت في المبنى الذي أقطن به، التي راحت ضحيتها زوجة حارس العقار، بعد أن تم قضم عنقها، وتمزيق جثتها شر ممزق.

لم يكن لي علاقة بالموضوع من قريب أو بعيد، كل ما هنالك أنني أقطن في الدور الأول، أي أنني أقرب السكان إلى حجرة ذلك الحارس المسكين؛ الذي ما انفك يولول كما النساء

كما أن الحادثة ليست الأولى، بل هي الرابعة في نفس المبنى

أعي أن المبنى شديد الضخامة، ولكن؛ مهما يكن ضخما، فإن أربع حوادث قتل خلال شهر واحد لهو شيء مرعب بالفعل

أعلم أن شكوكهم تدور حولي الآن، لأنني أحدث السكان، حيث أتيت إلى هذه الشقة منذ ما يزيد قليلا عن الشهر، أي منذ بداية تلك الجرائم

وكانت نظرات ذلك الضابط إلى لا تحتمل التأويل، إنها تقول بصراحة – وفجاجة – أنه ينتظر فقط أي دليل أو حتى شبه دليل، وحينها سيقوم بإعدامي في ميدان عام

انتهى التحقيق كالعادة دون الوصول لأي شيء، ولكنني علمت أنهم يكثفون المراقبة خارج وداخل المبنى، إذ يبدو أنهم مؤمنين بفكرة وجود قاتل مجنون يقطن هذا المبنى، أو على الأقل يتردد عليه ليرتكب جرائمه

كما أنهم يشكون في حارس العقار نفسه، وهو بالفعل رجل مريب يثير الشكوك حول نفسه بتصرفاته الحمقاء

بعد هذه الواقعة بأسبوع، وفى أحد الأيام ذهبت إلى عملي في الصباح كعادتي، ولم أستطع العودة في موعدي، ففوجئت باتصال من حارس العقار يسألني عن موعد عودتي، لأن حافلة المدرسة قد أحضرت طفلي الصغير، حيث إنني أعيش معه وحدي بعد أن ماتت زوجتي بعد ولادته بعامٍ واحد، فأخبرته بمكان مفتاح الشقة الاحتياطي الذي أضعه في مكان خفي بجوار باب شقتي، وطلبت منه أن يُدخِل الطفل إلى الشقة، ويشعل له التلفاز على قناة الأطفال التي يحبها، ويتركه حتى أعود خلال نصف ساعة على الأكثر

ولكن؛ يبدو أنه قد أشفق على الطفل من جلوسه وحيدا، فأخبرني أنه يمكنه تركه مع الأطفال التي تلعب في مدخل البناية، ولكنني حذرته من ذلك، وطلبت منه أن يفعل ما أمرته به، وأنني سأعود على الفور

اللعنة.. أنا لا آمن على طفلي مع أي أحد على الإطلاق، ما أدراني ما سيحدث حين أتركه مع غرباء!!

أخذت أعد الثواني حتى أنهيت عملي، فلملمت أشيائي سريعا، وانطلقت عائدا إلى المنزل وما أن دلفت إلى مدخل البناية؛ حتى شعرت بانقباض في صدري، حيث لم أجد حارس العقار في مكانه، وهو شيء غريب في هذا التوقيت اللعين

هل هو وحده مع طفلي الآن؟؟!!

انتابني الهلع، فركضت حتى وصلت إلى الشقة، وما أفزعني أكثر أنني وجدت بابها مفتوحا، وسمعت صوت التلفاز يأتي من الداخل؛ فدفعت الباب برفق، وأخذت أتحرك ببطء؛ حتى وصلت إلى الحجرة وحين فتحت بابها، رأيت أمامي ما توقعته؛ وما كنت أخشاه منذ البداية

كان طفلي الصغير يشاهد التلفاز، وحارس العقار عبارة عن جثة تتناثر أشلاؤها في كل الاتجاهات

وصغيري ذو الأعوام الأربعة يلتفت إلي خجلا، ويقول:

- آسف يا أبى.. ولكنه لم يوافق على تركي لألعب مع باقي الأطفال في الأسفل

***

سالي إبراهيم..

(70) المكالمة

عماد شخص ممل، يعيش حياة روتينية قاتمة، لا يملك أي أصدقاء؛ أو بالأحرى يبتعد عنه الجميع بسبب أسلوب حياته الرتيب الخالي من أي تجديد، لقد كان عماد يكره نظام حياته؛ لكنه ليس لديه القدرة على التغيير، وفي يوم من الأيام - المتشابهة دق جرس الهاتف في منزل عماد – وكان حدثا جللا لأنها كانت المرة الأولى التي يسمع فيها صوت جرس الهاتف في ذلك المنزل، رفع السماعة ولم يستقبل أي صوت؛ فخاب أمله ووضع السماعة، دق جرس الهاتف مرة أخرى فأسرع والتقط السماعة ولكنه لم يتلق أي رد فوضع السماعة في حنق، وأخذ يسب ويلعن، وبعد برهة دق جرس الهاتف مرة ثالثة وفي هذه المرة تباطأ عماد في رفع السماعة ووضعها على أذنه وأرهف السمع... فأتاه صوت أنثوي طاغ قائلا: أنت ياسر!! فأجابها دون وعي: نعم، فقالت له: إذن انتظرني!! وانتهت المكالمة، فأغلق السماعة وبدا يستعيد أنفاسه بعد أن حبسها من فرط النعومة والدلال، وعندما استعاد رشده تذكر ما دار في المكالمة وقال في نفسه: انتظرها!!.. كيف!!.. ومتى!! و... هنا تذكر أنه ليس ياسر، ولا داع للقلق، ولكنه شعر بالندم وتمنى أن يكون هو المقصود؛ ثم شرد بذهنه وراح يتخيل صاحبة الصوت وملأه ذلك نشوة وهيام، وأفاق من شروده على صوت طرقات على الباب، وانطلق ليفتحه فإذا بالتيار الكهربي ينقطع ليعود سريعا، وعندما فتح الباب لم يجد أحدا، فاستغرب وبينما كان يغلق الباب دق جرس الهاتف مرة أخرى، فأسرع إليه ورفع السماعة وإذا به نفس الصوت الأنثوي الناعم مرة أخرى: "أعلم أنك لست ياسر ولكنك دعوتني وأنا قبلت دعوتك" فاندهش

عماد: دعوتك !! فأجابته: نعم.. ألم تتمنني منذ قليل؟! ! فشعر بالإحراج من كلامها ؛ ولكنه سألها: هل يمكنك أن تأتي الآن؟ فأجابته:

لقد أتيت بالفعل، وفي تلك اللحظة تجسد أمامه أبشع كائن يمكن أن يتخيله إنسان، فسقط في الحال إثر نوبة قلبية.

وراح عماد ضحية مقلب من زملائه بالعمل أرادوا به أن يكسروا روتين حياته.

***

(71) دهاء رجل

لم تكن أبدا اللحظة المثالية لإخباره بما اتخذته من قرارات بشأن زواجهما الذي كان على شفا جرف هار في الفترة الأخيرة، لقد كان زواجهما غير متكافئ منذ البداية، هي أرادت الارتباط بأول من يطرق بابها بعد قصة حب فاشلة، وهو أراد زوجة ذات جمال تجدد شبابه الذي أوشك على الزوال، وسرعان ما اكتشفت هي أنها ألقت بنفسها في هوة عميقة، ذبلت وانطفأ جمالها فانصرف عنها وراح يبحث عن مبتغاه مع أخريات، كانت على علم بذلك؛ لكنها لم تبال كثيرا فلم يعد شأنه يعنيها، وأخيرا عقدت العزم على إخباره برغبتها في الانفصال، فلم تعد قادرة على الاستمرار في تلك المهزلة؛ لكنها اختارت توقيتا سيئا لإخباره فقد كان يمر بضائقة مالية أضلعته، وهو يعلم جيدا أنه سيخسر كثيرا إذا تم الطلاق، لذلك عندما أخبرته بقرارها لم يجب وإنما ابتسم ببرود وتركها وانصرف، لم يعد إلى المنزل في تلك الليلة، وكانت هي مستيقظة تفكر فيما سيحدث، هل سيطلقها بسهولة؟؟ هل سيرفض؟؟ وبينما هي شاردة في أفكارها؛ التقطت أنفها رائحة ما، ظلت الرائحة تزداد قوة حتى قامت لاكتشاف مصدرها، فتحت باب غرفتها لتجد المكان بأكمله تبتلعه النيران، حاولت الفرار لكنها لم تنجح ولقت حتفها، تم الإبلاغ عن الحريق وكان تقرير الواقعة يفيد وجود جثتين محترقتين تماما لرجل وامرأة وانتشر الخبر في الجرائد: "وفاة رجل أعمال وزوجته داخل فيلتهما وذلك نتيجة لتسريب في أنابيب الغاز"

قرأ الخبر في الجريدة وارتسمت على شفتيه ابتسامة ظفر، فلم يكلفه الأمر سوى إحضار جثة من المقابر ووضعها في الفيلا، وها قد تخلص من كل مشكلاته في آن واحد: ديونه وزوجته.

***

(72) وجبة منتصف الليل

كانت الواحدة ليلا، وكنت أتضور جوعا، فتحت ثلاجتي فلم أجد شيئا يسد جوعي، فقررت أن أنزل الشارع لإحضار الطعام، كان الجو شديد البرودة، والأمطار تهطل بشدة، وبين فينة وأخرى يحدث ذلك الوميض الفضي، وما تلبث أن تزأر السماء بدوي هائل، يثير الرعب، لم يكن الجو مناسبا أبدا للبحث عن طعام، تجولت حول المنطقة؛ ولم أجد أحدا، فقررت العودة للبيت حتى تنتهي العاصفة، وفي الطريق وجدتها، كانت ترتعد من البرد والخوف، متكومة حول نفسها بجانب عامود الإضاءة والذي لم يكن مضاء بالفعل، اقتربت منها لأستطلع الأمر؛ فوجدتها على وشك أن تفيض روحها، وجهها شاحب شحوب الموتى، وشفتاها كانت بلون الدماء الملكية؛ إن كانت بالفعل زرقاء كما يزعمون، مددت إليها يدا لأحثها على النهوض، وحملتها إلى بيتي، وضعتها على الأريكة، وأحضرت لها منشفة وثيابا جافة كي تبدل ملابسها المبتلة، رمقتني بنظرة متوجسة؛ فطمأنتها بإيماءة من رأسي، أعطيتها الملابس ودلفت خارج الحجرة حتى لا تشعر بالحرج، وعندما انتهت من ارتداء الثياب كنت قد أعددت لها حساء ساخنا، وقطعا من اللحم الطازج، ما أن رأت الطعام حتى بدأت تتناوله في نهم، بدأت بشرب الحساء الساخن ثم تبعته بالتهام قطع اللحم الشهي، وبمجرد ما بدأت في تناول الطعام حتى تورد خداها، وسرت الدماء في عروقها، وأصبحت دافئة تماما، كانت حريصة على التعبير عن شكرها وامتنانها لصنيعي لها، بدأت تتحدث لتحكي عن نفسها وعما دفعها للنزول في تلك الساعة المتأخرة، وكنت لا أسمع بل لا أبالي لما تقول، لم يكن يسيطر على تفكيري سوى أمر واحد، متى تنتهي هي من وجبتها؛ حتى أبدأ أنا وجبتي، تلك الدماء الدافئة، اليانعة، الطازجة ؛ بعد أن كنت فقدت الأمل من الحصول على طعامي في هذه الليلة المطيرة.

(73) مايكل مايرز

"مايكل مايرز"، هل سمعتم بهذا الاسم من قبل؟، أنه أسوا كابوس يمكن أن يمر بأحدكم، ماذا؟! !.. لا تعرفون هذا ال "مايكل مايرز"، حسنا.. سأعرفكم به، هو أكثر الكائنات وحشية ودموية على الأرض، في الواقع هو طفل مر بكل أنواع الاضطهاد، بالإضافة إلى إهمال الأهل والتجاهل من المجتمع حتى أصبح سيكوباتيا، بل أبشع وأقسى مخلوق عرفته البشرية، فهو يقتل لمجرد القتل، يقتل كل ما يصادفه، وبالإضافة إلى ذلك هو – لسبب ما، غير قابل للموت، تخيلوا معي شخص بهذه المواصفات البشعة ولا يموت.

لحسن الحظ هو شخصية سينمائية وإلا كان أحد أسباب الفناء على الأرض، فهو يعتبر جيشا قائما بذاته، شاهدت تقريبا كل ألأفلام التي قام ببطولتها، آخرها كان فيلم هالوين، وبينما كنت أشاهد الفيلم شردت قليلا، متخيلا ما يمكن أن يحدث إذا ظهر هذا الشخص على أرض الواقع، فإذا بي أسمع صوت غطيط بجانبي، فركت عيناي ونظرت من جديد، فإذا به جاثما بجواري على الأريكة، نظرت أمامي لأجد الفيلم وقد انتهى، هل يمكن أن يكون غادر التلفاز!! ظللت أتأمله غير مصدقا ما يحدث، لم أكن خائفا بقدر ما كنت مشفقا عليه مما عاناه في بداية حياته، ودون وعي مددت يدي لكشف الغطاء عن ذلك الوجه المأسوي، وكنت أنوي نزع ذلك القناع الذي يرتديه، فإذا به يهب واقفا، وبسبب القناع لم استطع تحديد موقفه، هل هو غاضب!.. مندهش!.. متحفز!..

ووجدتني أقول له: "أعلم أنك ضحية المجتمع الذي كنت تعيش فيه، وأعلم قدر معاناتك، ولا ألومك على أي مما فعلت"، لم ينطق أو يبدي أي تعبير، ففكرت قليلا فيما سأفعل به، فخطرت لي فكرة سادية لأبعد الحدود، فكرت في كل من آذوني.. كل من أهانوني.. كل من تعمدوا إذلالي.. كل من استباحوا خصوصيتي، وتخيلت كم هو رائع

أن اصطحبه في جولة لزيارة كل هؤلاء، والتخلص منهم بشكل وحشي أمام ناظري حتى أشفي غليلي، وأروي شهوة الانتقام بداخلي، وبينما كنت غارقا في أفكاري؛ لم ألمح ذلك النصل اللامع الذي يحمله بيديه ويهوي به على رأسي، ذلك الرأس الذي امتلأ بالأفكار الشريرة منذ برهة، وكأنه على علم بما يدور به من شرور، بدا لي الأمر وكأنه يطهرني من الآثام، نعم!.. الآن فقط عرفت، الآن أدركت الحقيقة، "مايكل مايرز" هو الخلاص، "مايكل مايرز " مخلص البشرية من بذور الشر اللعينة التي تترعرع بداخلهم، فلم يكن يقتل بغرض القتل – كما كنت أظن، هو يقتل الإثم بداخلنا، قلتها بينما كنت ألفظ أنفاسي الأخيرة، وسقطت على الأرض وتسببت السقطة في إيقاظي من النوم، فلم يكن ذلك إلا أضغاث أحلام، لكنه حلم يحمل بداخله درسا ما.

***

(74) القط

جلست كعادتها تمارس هوايتها المفضلة وهي مداعبة قطها الذي يعيش معها بعد وفاة زوجها إثر حادث سيارة على الطريق السريع، عندما جاءها خبر وفاة زوجها فقدت وعيها، وأفاقت بعدها على مواء ذلك القط الذي أخذ يلثم وجهها في عطف، ومنذ ذلك الحين أصبح صديقها الذي لا يفارقها..

وذات ليلة شعرت بحنين جارف لزوجها المتوفى، وأحست باشتياق يغزو روحها فاتجهت إلى خزانة ملابسها وأخرجت منها بيجاما كانت تخصه، وأخذت تتحسسها وتشم فيها ذكراه، ثم أوت إلى فراشها واستلقت على ظهرها، وحاولت عبثا أن تنام، وبينما هي غارقة في افكارها وذكرياتها أحست بيد تداعب أصابع قدميها، ولم تتمالك نفسها فقد كانت حركة زوجها الذي طالما اشتاقته وأغمضت عينيها لتشعر به يلامس باقي جسدها والتفت يده حول خصرها تحتضنها، وكانت مستسلمة تماما، وازدادت إثارتها عندما لامست شفتاه شفتيها وأخذ يقبلها في شوق، وببطء فتحت عينيها وكادت أن تصرخ عندما وجدت فمها بداخل فم القط الذي يفترش صدرها، ولكن الصرخة لم تكن أقوى من حنينها لزوجها، فذابت مع القبلة.

***

عمرو ممدوح..

(75) الحافلة

تلاقت عيناهما وهي تراه عبر نافذة الحافلة.. يدخن سيجارته في أحد الكافيهات بالطابق الثاني عبر جدار زجاجي.

لمحت على وجهه ابتسامة! هل يبتسم حقا لها؟!

ربما مر شهر أو أكثر وكل يوم في نفس الموعد تراه ويراها في نفس الزمان والمكان..

بادلته الابتسامة قبل أن تنطلق الحافلة..

في اليوم التالي قد اتخذت قرارها عند توقف الحافلة في نفس الإشارة ستنزل وتذهب إليه.

وفي الكافيه استطاعت بسهولة تحديد المنضدة التي يجلس عليها، لكنه لم يكن هناك للمرة الأولى لم يكن موجودا في موعده!

توجهت إلى النادل بسؤالها عن صاحب المنضدة فابتسم النادل

- الأستاذ أحمد منصور الكاتب لقد توفي منذ شهر في حادث أول الشارع حيث صدمته حافلة نقل عام..

صعقتها المفاجأة وكيف تراه كل يوم؟ لماذا لا يجلس أحد على طاولته رغم ازدحام المكان؟

الإجابة كانت وفاء من الكافيه لزبون دائم راحل..

شعرت بالدوار لتسقط مغشيا عليها..

استفاقت في المشفى ليظهر وجه صديقتها مبتسمة وتشعر بثقل في قدميها وذراعها من أثر الجبائر!!

كيف تحطم جسدها هكذا؟

جريدة ملقاة على مقربة منها لمحت صورته فيها، أشارت لصديقتها التي ناولتها الجريدة لتقرأ الخبر

"حافلة تقتل الكاتب أحمد منصور"

قالت صديقتها:

- الصحف منذ فترة ليس لها سوى ذكر حادثة الحافلة التي كنتِ فيها قبل أن تسقطي في غيبوبة طويلة كدنا نفقد الأمل في عودتك منها..

***

(76) طبيب امتياز

لك أن تتخيلني أنا الفتاة المرفهة التي تستهلك سيارتها الحديثة ذات الجر الرباعي ستة آلاف جنيه شهريا، التي تقضي أوقات فراغها في النوادي لتتبادل النميمة مع صديقاتها وهي تتلقى خطاب بالتكليف الرسمي في بداية عملها كطبيبة حديثة التخرج، وحدة ريفية فقيرة كالحة الطلاء كثيرة التشققات مثلها مثل أغلب الوحدات الصحية الريفية، قررت أن أنطوي على نفسي لتمر تلك السنة بأية طريقة ممكنة، ولكن ذلك الطبيب الشاحب الوجه النحيل كان يصر دائما على اقتحام دائرة الخصوصية التي أحطت نفسي بها، حتى اتهمني الأطباء والممرضات بالتكبر، كنت في البداية اجتنب الحديث الكثير معه فأنا بطبيعتي لا أحبذ التعاطي مع الغرباء بسهولة، وخاصة الغرباء غريبي الأطوار، الشاحبي الوجوه النحلاء الذين يلاحقونني باهتمامهم المفرط ونظرات الإعجاب الخجولة.

كانت نوبتجيتِ المسائية دائما الخالية من أية أحداث تقريبا، تقطع سيل حديثه الذي لا ينقطع فقد كانت حكاياته بادئ الأمر تثير اشمئزازي، لكنها سرعان ما تحولت إلى حكايات مسلية تقطع دابر الليالي الطويلة التي تكاد لا تنتهي، فمع الوقت لم أجده سيئا إلى هذا الحد، وخاصة أنه كان لايتحدث تقريبا إلا معي.

ذات يوم جاءني الفرج أخيرا وانتهى التكليف..

أظن أن واجبي أن ألقي عليه التحية قبل رحيلي!

توجهت إلى موظف شئون العاملين متسائلا عن عنوانه.. وكانت الإجابة

- إنك تسأل عن طبيب قتل في غرفة الاستقبال منذ خمس سنوات!!

إذن فلقد قضيت الليالي بصحبة شبح طبيب...

(77) المشرحة

هناك عم "رزق" عامل المشرحة في كلية الطب بجشعه وتطلعه إلى المزيد من الأموال في كل وقت، عندما ترى عينيه الجاحظتين وهو يصافحك صباحا، كنت تجدهما تتطلعان إلى موضع محفظة نقودك فهو كان يرانا كطلاب حديثي العهد بالمشرحة في سنتنا الأولي في كلية الطب كمحافظ مالية تسير على الأرض، كنا في البداية ننفحه ما يكفي ليسمح لنا بالبقاء في المشرحة فترات أطول بعد انتهاء الساعات الرسمية، ومقابل الرشاوي المالية كان يحتفظ لنا بأطراف طازجة لم تتلفها المباضع، كنت أنا و"ياسر" و"مهاب" و"سحر" نتسلل إلى المشرحة لنجده في انتظارنا بكفه الغليظة المبللة بالعرق لندس فيها رزمة من النقود، فيخرج لنا من درج خاص ذراعا أو ساقا رمادية اللون فنخرج كتب التشريح والأدوات ونبدأ في مطابقة الصور التي تملأ الكتب بما نراه لأول مرة على أرض الواقع، كانت تجربة مثيرة لا يمكن أن ننساها، حتى جاء ذلك اليوم الذي وجدته فيه يهمس في أذني، بأن هناك جثة طازجة ستصل إلى الثلاجة هذا المساء، وسيسمح لنا بالتسلل إلى الكلية بالتواطؤ مع حرس البوابة لنفحص جثة كاملة مقابل ألف من الجنيهات، تسللنا إلى المشرحة ليلا لننفرد بجثة تلك الفتاة المذبوحة من الأذن إلى الإذن والرهيب هنا إنها لم تكتسب لون الجثث الرمادي بعد، كانت جثة طازجة لفتاة عديمة الأهلية عثروا عليها مذبوحة، وقفنا حول الجثة في رهبة قبل أن تقرر "سحر" أن تفحص الجرح الذبحي في العنق، لنسمع ذلك الصوت المتحشرج القادم من أعماق أكثر القصص رعبا وسوادا:

- "حمدان" قتلني.

نظرنا إلى بعضنا البعض في ذهول ونقلنا أبصارنا نحو وجه الجثة التي انفرجت شفتاها عن صرخة صامتة وذلك الصوت يقول مرة أخرى:

- "حمدان" قتلني.

كان هناك مئات القصص عن الجثث التي تتجول ليلا داخل مبنى المشرحة المنعزل عن المستشفى!

لكن الغريب أن تذكر لك الجثة قصة اسم قاتلها وأنت تقوم بالتشريح!!

***

(78) السيارة

أمسية هادئة وأنسام رحيمة وليل غاب قمره خلف غيوم كثيفة، الجو المناسب لسهرة جميلة حتى الصباح، جلس في ركن مبتعد عن أنظار المارة متسترا بظلام الليل يدخن سيجارة الحشيش وهو يشعر بذلك المخدر يتسلل بانسيابية داخل أوصال مخه....

إنه يعمل حارس سيارات منذ ما يقرب من السنة، قام بالسيطرة على هذا الشارع المهم وفرض نفوذه عليه ليتقاضى رسوما شهرية من أصحاب السيارات مقابل أن يحرسها لهم ليلا، وفجأة لمحها!

فرصة لن تتكرر سيارة فارهة أبوابها مفتوحة تقف عند ناصية شارعه، ولا أحد هناك..

متى تركها صاحبها؟ وكيف يتركها مفتوحة الأبواب وينصرف؟

السيارة خارج نطاق عهدته ولذلك لن يلومه أحد على اختفائها،

ثمن سيارة مثل هذه بعد تفكيكها وبيعها سيضمن له الحشيش لفترة طويلة..

التفت يمينا ويسارا يتأكد من خلو المكان قبل أن يقفز بداخل السيارة ويدير محركها فمفاتيحها موجودة..

ابتسم بظفر فكل شيء مهيأ له..

انطلق بالسيارة..لكنه لاحظ فجأة أن السيارة لا تستجيب له فهي تسير باتجاه معين تعرف طريقها جيدا!

حتى وصلت إلى مرأب ودخلت..

كان الرعب قد استتب به من تلك السيارة.. حاول فتح الباب لكن الباب لا يستجيب!

لقد قررت السيارة أن تصطحبه في رحلة خاصة غامضة، كان مخدر الحشيش قد تبخر من خلايا مخه وبدأ يصرخ بهستيرية وعدم فهم وقد استعاد كل تراث الجن والشياطين الذي سمع عنه

بصعوبة استطاع الخروج عبر النافذة، لكن السيارة استدارت ودهسته بعجلاتها..

وقفت السيارة أمام الجثة قبل أن تستدير مرة أخرى لتخرج باحثة عن ضحية جديدة..

***

(79) الجريمة الكاملة

يقول أساتذة القانون ورجال مكافحة الجرائم أنه لا يوجد ما يسمى بالجريمة الكاملة، ولكنني عندما اتخذت قراري بالتخلص من "فكري" لم أقف طويلا أمام تلك المقولة، فأنا الآن مدفوعا بغريزة البقاء، يجب أن أواصل حياتي و"فكري" يقول لي أن ضميره قد استيقظ فجأة بعد طول رقاد، ويريد أن يبلغ عن تزويري فواتير الطلبية الأخيرة والتي كلفتني مبلغ 5 آلاف جنيه لأشتري صمته، حاولت أن أعالج مشكلة استيقاظ ضميره بألفين إضافيين من الجنيهات، ولكن ضميره كان يريد عشرة آلاف جنيه كاملة، ما حدث كان أوضح تعريف لمصطلح "ساعة شيطان"، جاء "فكري" إلى منزلي حسب الميعاد الذي اتفقت معه عليه، أحضرت له كوبا من الشاي الثقيل وجهزنا عدة تدخين المخدرات كالأيام الخوالي وعندما بدأ المخدر يسري في دمه، بدأت أقترح عليه تخفيض المبلغ لأنني لا أمتلك عشرة آلاف جنيه، ولكنه كان مصرا كالكابوس، وبدا يسبني ويهددني مرة أخرى فلم أشعر بنفسي وأنا أسدد طعنتين متتاليتين إلى عنقه، نقل بصره بين السكين المغروسة في عنقه وبيني في عدم فهم تحول إلى ذعر قبل أن يسقط أرضا وهو ينتفض وجسده يلفظ لترات دمه بغزارة على لفات البلاستيك الشفاف التي حرصت على تغطية الأرض بها قبل السهرة

سحبته بصعوبة حتى وضعته بحوض الاستحمام..

"ماذا على أن أفعل الآن لأخفي جريمتي؟"

نظر إلى متعجبا وقال:

- لا جريمة بدون جثة!

- نعم الرأي..

ولكن كيف للجثة أن أذيبها وصاحبها بجواري يخاطبني!!

***

(80) أستاذي

أنا من ذلك النوع النمطي الذي تربى على القيم والمبادئ الأخلاقية..

فمن علمني حرفا صرت له عبدا، تلك الأيام الجميلة التي كنا نذهب فيها إلى المدارس لنتلقى العلم بحق، قبل اختراع موضة الدروس الخصوصية ومراكز التقوية (السناتر)، كان الأستاذ "منصور" أول من يصل إلى المدرسة صباحا، ويقوم بمبادرة فردية بالترحيب بنا والوقوف معنا في الفناء المدرسي ليساعد في تنظيم الطابور، ثم يصطحبنا عبر سلالم الأبنية التعليمية في نظام وهو يداعبنا ويضحك معنا، إن حضور حصة دراسية للأستاذ "منصور" صار حلم كل طلبة المدرسة الذين تقاطروا على الفصول التي يدرس لها رسميا، كان يحرص بأريحية على دخول باقي الفصول في الحصص الاحتياطية ليلقننا مبادئ الأخلاق والمعاملات قبل أن يلقننا مبادئ الرياضيات، انتهت أيام الدراسة ومرت سنوات وسنوات ولكنني كنت حريصا على زيارة الأستاذ في منزله بعد رحيل زوجته وهجرة وزواج أولاده، وعندما مررت لزيارته لآخر مرة عرفت من جيرانه أنه لقي ربه في حادث سير، حيث صدمته سيارة وهو يعبر الطريق أمام منزله،

ولهذا مازلت أكن الاحترام لأساتذتي أثناء الدراسة، خاصة أستاذي الذي أقابله يوميا عند ذهابي صباحا إلى عملي مع بزوغ الفجر وهو يتكئ إلى عمود الإنارة، فيبتسم لـ. أبادله الابتسامة وأخفي سيجارتي خلف ظهري احتراما له فلا دخل بين الاحترام وبين كونه مات منذ سنوات في حادث عند هذا العمود...

***

(81) عادة سيئة

لن يفهم أحد ما أشعر به الآن.. أنصت لحديث والدة زوجي عبر الهاتف.. هي لا تعلم أنني أعرف الحقيقة الآن. بدا كل شيء من شهر ونصف الشهر تقريبا، عندما أصبحت حماتي تتغير تدريجيا في تصرفاتها وتصرخ بين الحين والآخر.. كلما ذهبنا لزيارتها تستقبلنا بوجه بشوش وما أن ندلف إلى الداخل حتى تصدمنا بصراخ هستيري وتبكي متألمة من أوجاع جسدها.. مع تكرار الأمر وشكواها من شعورها بالاختناق، قرر زوجي أن يستشير أحد الشيوخ بالأمر بعد أن لعبت بنا الظنون واعتقدنا أن بها مسا شيطانيا لكن بعد جلسه بسيطة مع حماتي همس الشيخ في أذن زوجي أنه غير متأكد من حالتها، قد يكون بها مس من الجن وقد تكون حالة نفسية سببها الوحدة.. أصبحنا نتعامل معها بحذر لأن حالتها بدأت تسوء وتضرب كل من حولها بعنف، وقد كان نصيبي صفعة قوية أوقعتني أرضا وجعلت رأسي يرتطم بالأرض.. كنت أتساءل عن أي وحدة يتحدث ونحن نزورها في نهاية كل أسبوع وابنتها المتزوجة تكاد تكون مقيمة لديها، أما زوجي فقد اعتاد أن يعود من عمله ليجلس بصحبة والدته أولا قبل ذهابه إلى منزلنا والذي بالقرب من مسكن حماتي... كنت أشعر بالضجر أحيانا وأنا أري أفعالها التي أكاد أجزم أنها تمثيل رديء لكن لم يكن بيدي أي دليل، حتى تذكرت عادتها السيئة في ترك الهاتف مفتوحا رغم إنهاء حوار المكالمة.. لا تغلق سماعة الهاتف أبدا بل تلقي بهذه المسئولية على الطرف الآخر وإذا لم ينتبه تصبح العواقب وخيمة، قد يفقد رصيده كاملا وأحيانا يفقد أسراره لأنها تتنصت على ما يحدث أو يقال في هذه اللحظات من السهو.. هكذا عرفت حقيقة ما يحدث وأن

المس الشيطاني يسكن عقلها وليس جسدها.. في المساء ذهبت مع صديقتي المقربة لزيارة حماتي وكما توقعت استقبلتنا بكل ترحيب ثم فجأة بدأت بالصراخ.. لحظات وساد صمت عميق بعد أن استسلمت لمفعول المخدر وعندما أفاقت حماتي من ثباتها العميق وجدت نفسها نزيلة بإحدي المصحات النفسية.. احتضنت زوجي وأنا أواسيه في مصابه وانهار باكيا عندما سمع صراخ والدته من جديد يصدح في طرقات المصحة.. صراخ حقيقي لا تمثيل فيه.. أخبرته صديقتي الممرضة التي تعمل مشرفة بهذه المصحة أن استضافة والدته في المكان لن تدوم أكثر من أسبوع فقط هي تحتاج إلى تقييم نفسي وبعدها يمكنها الرحيل في أي وقت.. عادة سيئة جعلتني أعلم حقيقة ما يحدث.. تركت المكالمة مفتوحة على هاتفها المحمول لتنكشف حقيقة كل شيء.. أنصت لضحكة حماتي وهي تتحدث لإحداهن وتخبرها عن تلك التمثيلية السخيفة وتقليدها المتقن لشخصية الملبوسة حتى تضمن أن يحيطها الجميع بالاهتمام والرعاية.. شعرت بالتعاطف معها لكن صفعتها لا تزال تؤلمني لهذا قررت القصاص منها بنفس طريقتها.. وأخبرت صديقتي أن تقوم بمعاملتها بكل احترام كأنها ضيفة، ويكفي أن تقضي أسبوعا بين المجانين حتى تحمد الله على نعمه العقل.. عندما ارتفع رنين جرس الباب لم أتوقع عودة حماتي بعد أربعة أيام، انتابني الارتباك أمام ابتسامتها الهادئة وهى تدلف داخل منزلي بخطوات هادئة واثقة، استقبلتها بحفاوة مزيفة حتى غرفة الأولاد، انتظرت بفارغ الصبر توقف رنين الهاتف الذي انتهى بصوت صديقتي الممرضة، سألتها في فضول عن سر خروج حماتي قبل انتهاء الأسبوع ولكنها أكدت لي أن حماتي لا تزال موجودة بالمصحة..

سقط الهاتف المحمول من يدي..حينها فقط رأيتها.. كانت تقف أمامي تتأملني بنظرات مخيفة، وشعرت بالبرودة تزحف على عمودي الفقري حتى شعر رأسي..

تملكنى الخوف الممزوج بالرعب من ابتسامتها الشيطانية التي جعلت صرخاتي تذوب داخل حلقي.. الآن تأكدت أن حديث حماتي عن القرين لم يكن مزحة..

***

(82) السقف المعلق

أشعر بها تنسحب من جانبي مغادره الفراش وقد خلفت وراءها جوا باردا وأثرا من عطر نسائي مميز، أقاوم النعاس عندما أسمع صدي صوتها داخل عقلي تبكي، انتفض من غفوتي وأنظر حولي غير مصدقة ما حدث.. أحاول التقاط أنفاسي والسيطرة على دقات قلبي التي كادت تتوقف حين تجسد شبحها أمام عيني، تتحرك كغيمة تطفو في الهواء لكن فضولي غلبني عندما غادر شبحها غرفة نومي وبخطوات متعثرة من الخوف تبعتها حتى رأيتها تفتح باب الشقة.. تلاشى باب الشقة الوهمي ليظهر شبح جديد وقبل أن أتمكن من رؤيته، فجأة انفتح باب الشقة الحقيقي وأفلتت من بين شفتي صرخة تحمل كل خوفي قبل أن أسقط فاقدة الوعي أمام كل هذا التوتر.. رائحة العطر النفاذة تنعش حواسي، أقاوم ذلك الصداع الذي يكاد يفتك برأسي، افتح عيني على وجه زوجي (حسام) الذي يساعدني حتى استعيد وعي كاملا، هل أنتِ بخير الآن؟، وما سبب كل هذا الصراخ والخوف؟! بللت شفتي بصعوبة ونظرت باتجاه باب الشقة لكن كل شيء يبدو طبيعي، همست بصوت متحشرج هذه الشقة مسكونة.. لقد رأيت شبحا.. حاول حسام السيطرة على ارتباكه بضحكة ساخرة. مسكونة.. شبح.. ما هذا الهراء؟! ابتعدت عنه وقد أغضبتني كلماته المتهكمة لكنه أسرع يحتضنني ويهمس بصوت عاشق، حبيبتي أرجوكِ لا تغضبي، لكن نحن نعيش في هذه الشقة منذ عام ولم يحدث خلال تلك الفترة ما يثير خوفنا.. استسلمت لدفئ ذراعيه وهو ينهي حديثه متسائلا. لو أنك كنت نائمة كعادتك بعد الظهيرة حينها يمكنني أن أخمن أنه مجرد حلم.. لم تقنعني استنتاجات زوجي رغم سعادتي بحبه الواضح، وتركته حتى أعد طعام الغداء.. لكن انقباض قلبي وتلك القشعريرة جعلتني أرى شبح المرأة من جديد يتجسد أمام عيني، امرأة عجوز.. صدي صرخاتها

المستغيثة يتردد داخل رأسي، أري ذلك الضباب ينقشع أمام نصل سكين يخترقه بعنف حتى تبدد وتلاشي.. كنت أقف عاجزة عن الحركة أمام كل هذا الرعب وتلك البقعة الحمراء التي ظهرت فجأة على أرضية المطبخ، ثم اختفي كل شيء.. هل جننت؟!. بخطوات متعثرة اتجهت إلى غرفة النوم وأتساءل عن سر تلك المرأة، بداخلي إحساس يؤكد أنني رأيت تلك المرأة من قبل، حين دلفت لداخل الغرفة رأيت حسام يقف فوق الفراش ويفحص شيئا ما في السقف المعلق الخاص بالغرفة وتراجع فور رؤيته لي حتى كاد يختل توازنه ويقع أرضا.. ماذا تفعل؟ سألته في حيرة، أجابني بارتباك. لا شيء... ثم اتسعت عيناه بشكل مخيف وهو يهمس بصوت كالفحيح. لقد سمعت شيئا يتحرك بالأعلي.. تلاحقت أنفاسي وأنا أبادله الهمس. حقا... لقد أخبرتك أن الشقة مسكونة.. انفجر ضاحكا بشكل هستيري. كنت أمزح معكِ، لا شيء هنا، لا داع للقلق، لم احتمل كل هذا التوتر وجلست على الفراش أحاول مقاومة الدوار، أسرع حسام نحو المطبخ وهو يؤكد أنه سوف يعد عصير ليمون لعله يجعلني استعيد نشاطي، استلقيت في الفراش وشرد بصري في التحديق بسقف الغرفة.. تذكرت فجأة كل شيء.. إنها زوجة حسام السابقة، تلك الأجنبية العجوز التي لم يخبرني عنها شيئا.. لكن زوجة البواب لم تصن السر وأخبرتني بأن الأجنبية عادت لبلادها منذ عام.. في مثل هذا الوقت تقريبا.. ظهرت بقعة دم حمراء على سقف الحجرة.. ونفضت عني ذهولي حين سقطة قطرة دم على وجنتي، وقفت أتفحص وجهي في المرآة وبأنامل ترتجف مسحت قطرة الدم.. كان قلبي يتقافز خوفا وأنا أتأمل انعكاس صورتي بالمرآة وقد تبدل إلى وجه العجوز وهى تصرخ بجنون وتشير نحو السقف المعلق للغرفة، توقف كل شيء عندما عاد حسام إلى الغرفة، لكني لم أعد خائفة.. أشعر براحة غريبة لا تناسب ما يحدث معي من مواقف

مرعبه متتالية.. اتفحص ملامح وجه حسام كأنما أراه لأول مرة.. حسام حبي الوحيد الذي رغم كل الصعوبات اثبت صدق وعده، سافر إلى إحدى الدول الأوروبية ثلاثة أعوام من أجل تأسيس حياة زوجية سعيدة تجمعنا معا.. لماذا قتلتها يا حسام؟!.. سقط كوب العصير من يده لتتناثر شظايا الزجاج في كل مكان..وحاول حسام تمثيل دور البلاهة وهو يدعى جهله بما أقول.. لكن روحها المسجونة بداخل السقف المعلق بغرفة نومنا كانت تصرخ وتهمس بتفاصيل الغدر الذي أنهى حياتها.. كان شبحها يتجسد ليصور أمام عيني جريمة القتل البشعة وكيف قام حسام بإخفاء أثرها.. العجوز الأجنبية التي لم يخبرني أنه تزوجها عندما سافر للخارج.. وأنه أوهمها باستغلال أموالها في إقامة مشروع على أرض وطنه.. جاءت بصحبته وانتظر حتى أصبحت الأموال بحوزته.. وحينها قرر قتلها وأوهم الجميع أنها هجرته وعادت إلى وطنها.. تشقق السقف المعلق وسقط فجأة فوق رأس حسام الذي ظل يصرخ للحظات كأنما يحاول الفرار من مصيره المحتوم.. ومن بين الحطام ظهرت ثلاثة أصابع عظمية تخرج من كتلة أسمنتية متوسطة الحجم..

***

(83) الدادة

كل يوم نفس الروتين.. كل يوم أتعامل معهم بصبر وهدوء.. كل يوم أسمع الأوامر من الأصغر سنا والمطلوب أن تكون كلمة حاضر هي إجابتي مهما يكن السؤال..

لا تبك يا صغيري..

أحمل الرضيع وأحاول تهدئته وإلا سوف تنهرني الآنسة نورهان المشرفة على إدارة الحضانة.

أتفحص الرضيع جيدا قبل أن أطعمه تلك المادة اللزجة المعروفة بطعام الأطفال المعلب وما أن يهدأ حتى أتركه وأسرع لتغيير حفاضة طفل آخر يكاد يملأ الدنيا صراخا..

ألتقط أنفاسي في الظهيرة عندما تحين فترة استراحتي، أرتشف كوب الشاي ببطء وأنا أعيد ترتيب الأحداث بذهني وأتأكد من أن أحدا لن يعرف حقيقة ما يحدث هنا..

احتاج إلى طفل في الثالثة من العمر، إنها أسرة فاحشة الثراء والمبلغ مغر حقا ترى من سيكون صاحب الحظ هذه المرة.

عندما انتهى دوام العمل بالحضانة مع دقات الرابعة عصرا كنت قد اخترت الطفل المناسب، وأخبرت عم جمال بواب العمارة التي تحتل فيها الحضانة الدور الأول العلوي بأكمله.. إن عليه عمل تحرياته اللازمة وإلا سوف يكون مصيرنا السجن أو ما هو أسوء..

فى اليوم التالي عندما غادرت الحضانة، جلست بمنزلي انتظر الاتصال الهاتفي المعتاد..

دادة نعمة والد الطفل سليم منصور هنا ويؤكد أنه لم يتسلم ابنه..

أجبتها بكل ثقة:

لقد جاءت والدته وأصر الطفل على الذهاب معها..

صمت مثقل بالشكوك والخوف ينتهي بالطلب المعتاد

دادة نعمة أرجو حضورك فورا وإلا سوف يبلغ والد سليم البوليس..

دلفت إلى الحضانة بقلب يرتجف وملامح متجهمة ورغم إصرار عم جمال البواب أن التحريات أكدت انفصال الزوجين مما جعل أمر اختطاف سليم أمر سهل بشكل مخيف إلا أنى أجفلت عندما رأيت الشرطة تحيط بالمكان ووالد سليم ووالدته معا.. الأمر مختلف هذه المرة.. أنهما معا ينظر كلاهما إلي في غضب واضح كأنما يعلمان بما فعلت..

***

(84) صديقتي والطقس الأخير

ابتسامة لطيفة كانت تلهو على ثغري، ولمعة غريبة كانت تستقر في عيني وأنا أرى الدماء تنزف من أطراف أصابعها المبتورة، أملت رأسي أكثر ولملمت خصلة شعر متفلتة وراء أذني بينما ألصق وجهي إلى وجهها المتعرق وكلانا يواجه صعوبة في التنفس، هي من فرط الألم وأنا من فرط الإثارة أمسكت ذقنها وأنا أسألها... ضاغطة مخارج حروفي بعناية _ها كيف حال صديقة طفولتي اليوم؟!.... أتمنى أن الإقامة هنا ممتعة لك بقدر ما هي لي.... وأن كنت أشك هههههه انفلتت الضحكة من فمي وهي تصرخ نتيجة ضغطي الشديد على إصبعها النازف برغم نشوتي كنت مرهقة بشدة فقد أتعبتني تلك القذرة كثيرا أعلم أنني الآن أبدو في نظرك مجرمة مختلة في أمس الحاجة إلى تدخل نفسي سريع لكن من قال أني أهتم!

اغتسلت من أثر دمائها القذرة وأشعلت لفافة تبغ وأخذت نفسا عميقا محاولة أن أبدو في مظهر قاتلة سادية لكني كدت أختنق وأحسست بروحي كادت تخرج وأنا أسعل بشدة، أحمرت عيوني كثيرا وبعد أن هدأت قليلا غبت في موجة ضحك هستيري ثم رحت في نوبة بكاء مرير أنا لا أستلذ هذا على الإطلاق وإن كنت أمثل الاستمتاع به أنا أتعذب مثلها بل ضعفيها.. بل أكثر! أستشفي بعذابها من عذاباتي، هكذا ظننت لكني كمن يقلب الجمر فتشب نيرانه وتتوهج في جوفه أكثر وتحرقه حد التفحم تلك الوغدة سلبت طفولتي وشوهت معالم نفسي السوية، آاااااه لا أحب التذكر، خلايا عقلي تحرقني عندما تتلهى بي تلك الذكريات لذا فلتبدأ حفلة أخرى من وصلات تعذيبي لكلينا اليوم حدث خاص للغاية، فعلى مدار الأيام الفائتة استعرت بعض الأشياء من ضيفتي كأظافرها وبعض القطع من جلدها وإحدى

جفنيها وربما لتر من دمائها والذي أضفت إليه بعضا من عقار"الهيبارين" ليحتفظ بلزوجته فما نفع دمها الآسن أن كان متجلطا استيقظت ضيفتي أو ما بقي منها على رائحة شياط تأتي من شعرها المتفحم والذي أحرق معه فروة رأسها فحييتها بحماس شديد مع وعد بأن يكون حفل الختام صاخبا واستثنائيا للغاية حملقت بي في رعب وارتجافها يهز الكرسي الذي قيدتها إليه بعنف ربما مشهدي كان ساحرا وأنا أرسم حولها نجمة خماسية وأملأها بالحروف التي تعلمتها خصيصا لأجلها، لمعت عيوني بفكرة رائعة، فجرحت نفسي وأكملت الخطوط المتقاطعة، كنت أسمعها تئن وتهمهم بل وتصرخ صراخا مكتوما من خلف الشريط اللاصق فأنا عمدت إلى جعلها تشاهد عدة ڤيديوهات لما أفعله بمصيرها الآن وإن كنت أجهل أي شيطان أنا بصدد استدعائه الآن.. لكن وللمفارقة لن يكون أشد خبثا من تلك الرجيمة.. أغلقت عيوني وأنا أسحب كل هواء الدنيا إلى صدري، لم أبق لها منه شيئا، وبدا في التمتمة، الهمهمة ثم تحول الأمر إلى صراخ وأحسست بالشوك ينبت تحت جلدي أتساءل عن ماهية شعورها الآن!.... ثم تذكرت أنه لا يهم أبدا.... وأكملت... كان رهيبا أن تتحول الأرض من تحتها إلى مجال لين يبتلعها إلى جوفه في سكون شنيع..... أغمضت عيوني أكثر.. كانت تختفي في تدرج ممتع ربما هذا ما أردته دوما.... فقط أن تختفي! قدماها، ساقاها، حوضها..... نصفها السفلي انمحى في المجال غير المرئي مع صوت قرقعة مرعب، صوت الخض، التكسير والمضغ جعل من وعيي خرقة بالية، كل ما فعلته بها كان رحمة خالصة لا يشوبها ذرة قسوة مقارنة بالفزع الذي تشهده حواسي في هذه اللحظة الآن بالكاد أرى كتفيها.... من ثم ابتسمت حين تذكرت أنني تعمدت أن أنسى أنني لم أخرج قط من محيط النجمة وأنني لم أعد أرى أغلب جسدي العالم لا ينقصه المزيد من المشوهين سأذهب برفقتك إلى الجحيم يا هذه، ربما هناك سأستطيع أن أتناوب على تعذيبك مع زبانية جهنم!.

***

(85) مأدبة الزفاف

ترفل في ثوبها الأبيض الأسطوري في أنفة عظيمة وكأن الله لم يخلق عروسا قبلها بجسدها البض الممتلئ، وأصابعها البيضاء المكتنزة وشعر أسود قصير يتفلت أغلبه من وراء طرحة حريرية يرسم الدانتيل الرقيق حدودها بطريقة تثير الحسد الذي كان حاضرا بقوة، تكاد تري هالته السوداء تتطاير فوق رأس تلك الشقراء الحانقة النظرات النارية كانت تحرق الأخضر واليابس في طريقها بين الفتاتين نظرة متحدية تنطق بكل آيات الانتصار أتت من العروس وهي تتأبط ذراع زوجها بمعنويات قائد رفع راياته توا على أراضي الأعداء العريس الغافل بدا كبيدق تافه أوقعه حظه العثر في لعبة بين ملكتين يقطر الشر من تحت نابيهما منوما مغلوبا على أمره بدا كشاة يسوقها الجزار نحو المذبح كان الغيظ يفور في دماء الشقراء محولا رأسها إلى مرجل على وشك الانفجار لقد خسرت! أول مرة في تاريخها المرصع بالانتصارات يغص حلقها بطعم الخسارة، وهو طعم لو تعلمون شنيع إذا فليكن سأحيل عرسك أيتها السمينة الساقطة إلى حفل جنائزي فأنا لم ولن أخسر رهانا قط، توترت الأجواء فجأة وكأن الاستاتكية الساكنة للمكان لم تعد ساكنة بعد الآن، هدا الحشد الصاخب المتأنق على حين غرة، وتوتر الهواء كأنه استحال خيطا مشدودا يوشك أن يقطع ارتعشت الأنوار، وماج شيء ما في باطن أرض القاعة تقدمت الشقراء الرشيقة إلى صدر العرس في هدوء يليق أن يسبق تسونامي مدمرا وصارت والعروس وجها لوجه وقد اتضح لكل منهما ما بيتته الأخرى، بطريقة ما احترق ثوب العرس والعروس بداخله في وسط صرخات المدعوين أمام عيني العريس الذاهلتين الذي بدا أنه استيقظ توا من كابوس بشع، نظر لملابسه ومحيطه بريبة مستنكرة، الطنين يأكل أذنيه والألم يفترس ملامحه غير المصدقة الصدااع، لابد وأنه مقلب مدبر من أحد

أصدقائه الأوغاد قرر أن التصرف الأمثل هو أن ينصرف في هدوء دون أن يلاحظه أحد مستغلا الهرج والمرج الذي لا يدري لهما سببا محاذرا بلغ الحافة. وما أن لمس باب المخرج حتى انتبه الحشد المشتت والتفت في حركة آلية الصراخ المرعب يأتى من كل شبر في القاعة والعروس المحترقة تنهض من الرماد في مشهد أفقده التحكم في مثانته.. العروس المتفحمة تزأر في غضب، "الآن لن أتذوقه وحدي أيتها الغبية لكنك لن تنالي منه ولا قضمة واحدة!" وأحكمت قبضتها على عنق الشقراء فتفجرت إلى أشلاء، وقادت العروس مدعويها إلى المأدبة الشهية التي كانت تلتصق في باب الخروج من هول الرعب!.

***

(86) كفنتها بثوب العرس

وجدت نفسها مطمورة في لجج من الظلام المتراكم فوق رأسها وحيدة بالكامل، هكذا بدون مقدمات، الأنفاس تختنق في صدرها، والبرودة اللزجة تزحف على أطراف جسدها الضئيل الرعب البكر، لابد أن أول تعريف له كان كلمتين فقط "مظلم بارد أو بارد مظلم" بأي ترتيب شئت وهذا جملة ما كانت تشعر به تفصيلا! تفحصت أقرب ذكرياتها بعناية شديدة، *لماذا!؟ ببساطة لأنه لابد للسبب من مسبب "لن أعرف أبدا أين أنا أن لم أعرف أين كنت" وكطفل يتعرف على محيطه الغريب باللمس والتذوق، كذا كانت تفعل، حبا تعثرا وبكاء مكتوما لكن محيطها لم يسمح لها بأن يتعارفا أكثر، فما بدا أنه غرفة بالغة الضيق رطبة الجدران ذات ملمس طحلبي لزج قررت أن تنكمش قليلا.... أكثر بقليل.... أو كثيرا جدا! باعدت بين ذراعيها والذعر يأكل قلبها محاولة إيقاف الجدران عن سحقها لكن أذنيها ميزت صوتا فظيعا مؤلما، باعثا على الجنون لقد كان صوت تهشم ذراعيها، الصوت لن يتوقف ثوان و"أنا" ستمحى من بعد الآن سيستخدمون قبل وصفي فعلا ناقصا ككينونتي.... "كانت".... ويا ليتني ما كنت! لحظات الاستسلام الأخيرة لا تكون أبدا بالسكينة التي نتصورها نحن فقط نحب أن نصبغ الحقائق المفزعة بشيء من انطباعاتنا الساذجة، علها تصبح أجمل قليلا لذا وقبل أن تصبح عجينا ممزوجا قوامه اللحم والعظم المتهشم، قرر عقلها أنه من حقها أن تعرف! فإما الآن وإما أبدا و..... العقاب!.... نعم هي أخطأت فكان لزاما العقاب. من منا لا يخطئ خطئا يستوجب العقاب! لكن الأخطاء تتباين وخطأها هي كان إثما.. انسياب الذكريات في عقلها كان أشبه بالجمر المصبوب داخل رأس مشجوج مشهد أختها المقيدة في ثوب زفافها المترب في قعر ذلك القبر العطن وهي تهيل عليها التراب لتدفنها حية، كل توسلات العروس كانت

تصدم بأذنها الصماء وقلبها الأجوف، وغيرتها العمياء، فكيف لأختها الصغرى قليلة الجمال والحيلة أن تفوز بقلب رجلها الأثير، الرجل الذي أحبته بجنون وتمنته في كل يوم بل في كل لحظة وها هو يعلنها جلية بأنه يريد تلك الصغيرة الحمقاء بدلا منها زوجة وإلى الأبد! الآن.... ارتخت يديها وأطرقت برأسها في استسلام شنيع كفارة لذنبها وحينما رفعته وجدت زوج أختها أو أرملها يهيل عليها التراب وهو يبكي ويبصق حزنه وغضبه المستعر على رأسها الأرعن.

***

(87) الأرانب اللاحمة

بعد التهديد الأخير كانت تطرق رأسها في وجل حقيقي لم يعد هناك مخبأ آمن ما هي إلا مسألة وقت حتى يجدوها هزت رأسها بعنف وكأنها تنفض الفكرة المشئومة حاولت مرارا بث الطمأنينة في نفسها لكن بدون فائدة رجفة باردة سرت على طول عمودها الفقري من تخيل التسلسل الطبيعي للأحداث.. حظها التعس جعل منها الشاهدة الوحيدة على تلك الجريمة البشعة.... أحقا كانت جريمة! ما رأته كان لا يقل عن عرض مباشر آت من أعماق سقر أبطاله زبانية جهنم ذاتها كانت تقول دائما "النحس يعرف أهله" وعلى هذا المعدل فبالتأكيد هي إحدى أقاربه من الدرجة الأولى لفت معطفها على خصرها طلبا للدفء وبعض الأمان ثم رفعت الشال ليخفي نصف وجهها وعدلت من وضع الأيس كاب على رأسها فاختفى النصف الآخر وتحسست شيئا ما في جيبها، تنهدت في راحة وحانت منها التفاته لبائع الحلوى والذي بدا مريبا بطريقة ما كل الناس يبدون مريبين حين تكون فارا بحياتك انحرفت لزقاق مظلم وهي تسترجع الهول الذي نطق في تجاويف عقلها، كيف أنها أخطأت العقار الذي كان من المفترض أن تستأجر فيه ودلفت قدميها أعتاب السعير في تلك العمارة المهجورة في الطابق السادس تحديدا، كان الطابق الصحيح لكن المكان والزمان الخطأ من وراء فرجة الباب الذي ترك قسم منه مفتوحا على استحياء كان الزي الأبيض المبهج للأرنب "باني" بأذنيه المضحكتين يتحرك في صالة الشقة، يبدو أنه عيد ميلاد أحد أطفال المنزل لكن أليس من المفترض أن هذه شقة فارغة معروضة للإيجار!! كانت على وشك الدخول للاستفسار لكنها رأت أرنبا آخر أرنبا ذو بنية عضلية ممتازة! يستل مضرب بيسبول ويرفعه في الهواء ويرمقه في إعجاب ويؤرجحه في الهواء في حركات بهلوانية غير مطمئنة، يلتقطه من الهواء من مقبضه

ويهوي به على شيء ما أمامه، لم أتبين ما هو لكن أنينا مكتوما بدا في التصاعد معه صوت تهشيم مروعا لعظام تيقنت أنها آدمية حين سحب جثة تلك الفتاة مكممة الفم أمام عيني الجاحظتين مخلفا رعبا سمرني في مكاني وسرعان ما انضم صاحب الزي الآخر إلى الحفل المجنون ورويدا تحول الأبيض الثلجي لفراء الثنائي باني المجرم إلى الأحمر القاني واختفي صوت الأنين إلى الأبد هنا سيل مستقبلاتي العصبية دفع بمستقبلاتي الحركية للاستنفار لكنه لمحني، نعم رآني وأنا أدفع بجسدي المرتعش على السلم من يومها وحتى هذه اللحظة لم أتوقف عن الركض.. يومان وكانت تربض رسائل التهديد تحت عقب بابي لم أفهم كيف وصلوا إلي وبتلك السرعة! ولم أنم ليلتها في بيتي بل لم أنم على الإطلاق ومرق الخاطر كالبرق يضرب رأسي لماذا! بما أنهم وصلوا حتى عتبة بيتي... فلماذا رسائل التهديد! كنت بين أنيابهم، تماما كالفأر حين يعلق بين براثن القط فلماذا أفلتوني!؟ وتوقفت تماما في منتصف الزقاق وفهمت ما يحدث، الوغدان يلهيان بي، كالضباع حين تخرج للصيد لعبة المطاردة تروقهم إذن نيروناتي العصبية كانت تعمل كما لم تعمل من قبل وتنفست بعمق ولأول مرة منذ الحادثة أمسك الخيط وأسير على أطرافه كمن يسير على الصراط وبتؤدة شديدة وبأنفاس منتظمة كان جسدي يتحرك من تلقاء نفسه وبالتفاتة مباغتة تذكر فيها جسدي كل الفنون القتالية التي سبق وربيته عليها كان الخنجر في جيبي يرقد في منتصف جبهة ذلك الأرنب اللطيف الذي كان يرصدني وتعمدت أن أدخل به إلى الزقاق حيث انفردت به درت بعيني بحثا عن الآخر والذي مرق مضربه بجانب جمجمتي بفاصل لا يسمح بمرور الهواء حتى الحظ، ولأول مرة يقف إلى جانبي! بنيته العضلية لن تجدي معها مقاومتي، سيسحقني كحشرة علقت على طرف مضربه وابتسمت! "يبدو أن خنجري المستقر في جمجمة

صديقك الفارغة جعل منك ثورا هائجا" المضرب يضرب الهواء بطريقة مفزعة وأناور بقفزة إلى الخلف تجعله يتعثر في جثة صديقه "أوبس ستوقظ أرنوبي اللطيف، اممم نسيت هذا الخنزير لن يستيقظ ولو دعسته ناقلة صواريخ" وهنا استطعت أن أرى وأشم الجنون يسبح في الهواء أدار مقبض مضربه ليتحول سطحه الأملس إلى قطعة مرعبة من المسننات الحادة ضربة كادت تطيح برأسي لكن انحناءة حسنت مصيري قليلا، رأس مفصول ومشوه بالطبع ليس ضمن خططي المستقبلية يبدو أن الغيظ جعل منه ثورا هائجا بحق ويبدو أنه قرر أن ساعتي قد حانت فاندفع بقرنيه أقصد بمضربه تجاهي دافعا جسده الضخم ليفتك بي، لم يدري ولم أدري إلا ويدي تغوص في لحم عنقه غريزيا تعلمت أن زينة الشعر ذات الأطراف الحادة تكون مفيدة أحيانا في قطع الحبل الشوكي لقاتل متسلسل ذو طابع سادي وجسد ضخم ويرتدي كإحدى شخصياتي الكرتونية المفضلة! همد الثور على أرض الحلبة بأطراف خارج نطاق الخدمة وكدت أمضي لحال سبيلي لولا أني سمعت أنين تلك المرأة التي قتلاها يطن في رأسي فعدت خطوتين إلى الوراء والتقطت المضرب وبدا حفلي الصاخب بعد انتهائي كانت أشلاؤهما تزين الجدران في تناغم فني مميز ولأول مرة أحسست بحالة من الصفاء الذهني المميز والذي عهدت إلى تكراره كثيرا، كثيرا جدا أما عن كيف؟! فتلك قصة أخرى.

***

محمد بن فرجاني..

(88) موعدنا مساء

عاد سامي مثقلا بهموم يوم رتيب كأغلب أيامه.. على أمل أن يقضي سهرته مع سمير الذي تعرف عليه منذ أشهر قليلة في مقهى اعتاد أن يجلس فيه وحيدًا حتى منتصف الليل بعد أن استلم عمله بالعاصمة تاركا وراءه قريته في أقصي الجنوب. ألقى ثيابه ودلف تجاه الحمام يرتجي حماما بارداً.. وبعد أن فتح المياه أبى هاتفه أن يكف عن الرنين، فخرج مسرعا لعله أحدا من عائلته يطلبه لأمرٍ ما، أمسك الهاتف ليجد رقما غريبا فاستلقى على السرير مستقبلا المكالمة: - مرحباً. = مرحبا سيد سمسم معك حسن من مستشفى العاصمة، لابد أن تحضُر حالاً. - عذرا سيدي... أي سمسم تقصد؟ = أيا كان من أنت.. لابد أن تحضر حالاً. - ما الأمر سيدي؟ هل تسمعني؟! سيدي.... انقطع الاتصال.. حاول سامي الاتصال مرارا على نفس الرقم بلا جدوى. أخذ طوفان من التساؤلات يضرب برأس سامي.. ترى ما الأمر؟؟ هل..؟ هل..؟ ظل في حيرتهِ حتى طُرق الباب ثلاث طرقات قوية! قام مسرعا مرتديا بعض ملابسه صائحاً: - من؟. من بالباب؟ ولا أحد يرد.. أعاد سؤاله مرات ولم يتلق جوابا، تكرر الطرق بنفس الطريقة ولكن لابد أن يفتح الباب.. وكانت المفاجأة... وجد سميرا مخضبا بالدماء وقد بُترت يمناه وببطنه جرح نافذ ينضخ دماء لا تكف.. ولكن ليس هذا ما أفزعه، وإنما ما وجد عليه سمير من لامبالاة وكأن لا شيء به.. - سمير!.. ماذا بك؟. . هيا لنذهب لأقرب مستشفى فأنت لست بخير. ضحك سمير بملء فيه مردفاً: = هل ستتركني على الباب؟. . حسنا سأتفضل.. فأنا متعب جدًا وقد نزفت كثيرا (ضحك هيستيري).. أين الثلاجة يا صديقي؟ دلف نحو الثلاجة ليتناول قارورة ماء بارد

وأخذ يشرب منها وسط نوبة ذهول من سامي الذي خرس تماما عندما رأى الماء يتسرب من الجرح النافذ ببطن سمير مختلطا بالدماء. ألقى سمير الزجاجة وراح يمدد جسده على أريكة وكأنه لا يبالي بدمائه النازفة ثم أشار لسامي بالاقتراب.. فعجل إليه معنفاً: - سمير.. قم معي إلى المستشفى. = (ضحك هيستيري) مستشفى؟ لا عليك.. لقد خرجت منها لتوي.. فقط أخبرني، هل هاتفك أحدهم؟ لابد أنهم طلبوا منك الحضور.. أليس كذلك؟؟. . أنهم يريدونك للتعرف على جثتي لإتمام تصاريح الدفن. (بكاء شديد) تخيل يا صديقي!.. يحسبونني مُت.. تبا لتلك السيارة اللعينة.. صدمتني وهربت بعيداً.. وهئنذا أمامك.. صحيح أني لم أعد أتنفس ولكني لا أشعر بحاجة للهواء.. يكفيني أني أتحرك، ويكفيني أنك تراني.. هل كنت تتحضر للاستحمام؟.. هيا اذهب وتحمم.. وستجدني في انتظارك مساء.. (ابتسامة حزينة) سأنتظرك يا صديقي. وهنا أخذ الباب يُطرق بشدة.. فأخذ سمير يضحك بقهقهات عالية متجها نحو الشرفة وهو يقول: - افتح لهم ولا تنسى موعدنا في المساء. أخذت الطرقات تزيد وسامي ينظر للباب ولسمير مذهولاً.. فصرخ يهذي بكلماتٍ غير مفهومة وصياح الناس بالخارج يعلو "الدماء في كل مكان". بدا يعلو صوت طنين في أذنيه ذابت معه أصوات الناس حتى هب مفزوعا ليجد نفسه في سريره وبيده هاتفه، وأصوات الناس تعلو "افتح يا سيد سامي.. الماء في كل مكان".. فإذا بالمياه تخرج من الحمام فأغرقت الشقة وتسللت من تحت الباب. قام مسرعا يتفقد الشرفة المغلقة كما كانت منذ عاد من عمله ولا يوجد أثر لدماء.. فتنفس الصعداء ممتنا لأن ما رآه كان حلما. فأغلق المياه وهرع ليفتح الباب يطمئن الناس. وأسرع بالاتصال بسمير الذي لم يرد أول مرة، وفي الثانية رد أحدهم: - نعم سيد سمسم.. برجاء الحضور إلى مستشفى العاصمة للتعرف على جثة صاحب الهاتف.

شهاب الدين سعودي..

(89) الطريق المظلم

إنه الانتظار... الطريق الذي ندلف إليه ونعود بالخُذلان وما أدراك أن يُخذل المرء مرتين الأولى عند الفراق والأخرى عندما تبلغه الأيام أن انتظاره بلا فائدة... توقفت في منتصف الطريق المظلم وأشعلت سيجارتي ثم نظرت إلى ساعة يدي لأجدها الثالثة فجرا لم يحدث جديد ولم استمع لشيء غير أنفاسي المتتالية، بعد لحظات استمعت لأقدام تقترب كانت خطوات سريعة يصاحبها صوت عصا تدب على الأرض، لم أشعر بالخوف حتى شاهدتها، امرأة عجوز تمكن الشيب من رأسها، توقفت أمامي وقالت لي - لماذا أتيت إلى هُنا..!؟ حدقت إليها قائلًا = من أنتِ، أنا انتظر أحدهم بدأت العجوز ضحكاتها الصاخبة العالية ثم قالت - لن تأتي ثم اعتدلت ملامحها وهمست قائلة - وهل تنتظرها على موعد أم تنتظرها على أمل..!؟ تبسمت ساخرا ثم قلت =لا ليس بيننا موعد ولا انتظرها على أمل كل ما في الأمر أنني مجهد والانتظار يريحُ قلبي حتى أشعر بالنعاس وأعود إلى منزلي... اقتربت العجوز ثم وضعت يدها على قلبي وقالت -هاااا... أنت تأتي هنا كل ليلة، أراك من شرفة منزلي ما رأيك أن ادعوك لنحتسي القهوة بالمنزل وتحكي لي حكاية هذه الفتاة. = اعتذر لكِ سيدتي ربما تأتي تراجعت العجوز بالعصا وأشارت إلي قائلة – أنت تنتظرها على أمل وليس كما تدعي. عندها شعرت بالغضب نحوها وانفعلت قائلً = دعيني وشأني أيتها العجوز قُلت لكِ انتظرها وكفى تبسمت العجوز وتركتني وبدأت تبتعد ببطء وأنا أنظر لها، كنت أعرف من تكون ولماذا أتت الليلة. إنها الأيام متنكرة في صورة العجوز، تريد إخباري أنها لن تأتي وعلي الذهاب الآن ولن أعود مرة أخرى إلى هذا الطريق المظلم

(90) ديروني

توقف السائق في طريق مُظلم وطلب من الركاب الخروج من السيارة بسبب نفاد الوقود بدأوا بمغادرة السيارة ببطء حتى خرجوا جميعا فانطلق السائق بسيارته وهو يقول - لن يتأخر "ديروني" عليكم.. قالها بصوت عال وكأنه قدم الرجال الأربعة والفتاة قربانا لشخص يدعي "ديروني"، الغريب أن هذا الطريق يطلق عليه "طريق مطروح إسكندرية الصحراوي" لذلك اعتبروه شخصا مُختلا ولا وجود لأحد يدعي "ديروني" في بلدتهم، ما كان عليهم إلا أن يستخدموا هواتفهم المحمولة للاتصال بالنجدة فالوقت متأخر ومن الممكن أن يصيبهم أذى (لا توجد إشارة جوال) اقترح أحدهم أن يشيروا إلي سيارة حتى وأن كانت شاحنة بضائع، كان الصمت يحيط المكان والظلام يحتل السماء مضت لحظات وبدا القلق يضرب قلوبهم حتى صرخت الفتاة قائلة -استمع لأنفاس شخص خلفي نظروا الرجال وظلوا يترقبوا بحذر ولكن لا يوجد أحد غيرهم مضت لحظات أخرى فتقدم من بينهم رجل يبدو أنه ف العقد الخامس من عمره ثم قال استمعت أنا أيضا وشعرت بأنفاسه خلفي حدقوا إليه فسألته الفتاة -تقصد من؟ نظر الرجل إلى أسفل ثم قال - ديروني الشطان الذي يسكن المناطق الصحراوية ويجب على كل سائق يمر من هنا ليلا أن يقدم له ثلاثة رجال وفتاة على الأقل كل خمسة أيام وفي هذا الوقت لأنه يقوم بقطع الطريق وتنقطع أيضا وسائل الاتصالات تقدم من بينهم شاب يبدو أنه في العقد الثالث من عمره وقال - سمعت عنه من قبل ولكننا هنا في أمان هو لا يستطيع قتلنا إلا في منزله رد الرجل قائلًا -حسنا ننتظر هنا للصباح نحن الخمسة مضت لحظات وجلسوا على الأرض بجوار بعضهما.. فنهض الشاب فجأة وقال -أري حافلة هناك سأطلع عليها وأخبركم قالها وهو يتحرك نحوها.... أحس السائق بالذنب

فتوجه نحو قسم الشرطة وأبلغ عن ثلاثة رجال وفتاة متواجدين عند الكيلو 54 الصحراوي.. وطلبوا منه المساعدة لكنه خائف.. توجهت الشرطة إلى المكان فلم يجدوا أحدا.. بعد البحث الدقيق وجدوا حافلة على بعد أمتار فدلفوا إليها ليجدوا الرجال الثلاثة بداخلها ولكن بلا رؤوس...!! هم لا يعلمون أن السائق تركهم ثلاث رجال وفتاة.. أما الشاب كان ينتظرهم عند لحظة نزولهم من السيارة وهو من أخذهم إلى الحافلة المهجورة والتي مكتوب عليها "منزل ديروني" ولكن الظلام أخفاها هم لا يعلمون أن هذا الشاب يدعي "ديروني".

الفهرس

- وائل عبد المجيد 7
- محمد سعد 19
- إسلام سمير عبد الرحمن 34
- وائل عبد الرحيم 48
- نبيلة وناس 63
- حسني الجهيني 69
- تغريد حسونة 83
- طارق خيري 91
- حسام الخطيب 103
- محمد أبو الفتوح 117
- محمود عبد العال 125
- حاتم أبو الخير 133
- سالي إبراهيم 144
- عمرو ممدوح 151

- ريماس صالح 160
- روضة محمد 168
- محمد بن فرجاني 177
- شهاب الدين سعودي 179